مواطن الشعوب الإسلامية
في أفريقيا
(٨)

السنغال

محمود شاكر

مكتبة دار الفتح بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدّمة

لا ترتاح النفس في بلادنا إلى كلمة سنغال ، فما أن تذكر هذه الكلمة إلا وتتداعى الأفكار إلى فترة الاستعمار حيث قضت بلادنا هذه المدة تحت كابوس الحكم الفرنسي ، فكان شديد الوطأة على الأمة ، وقام جنود السنغال بأعمال من الوحشية ، يخدمون مصالح الاستعمار ، ويقومون بأفظع الجرائم في سبيل تدعيم حكمه والقضاء على المقاومة الوطنية ويرتكبون بحق هذا الشعب — الذي يرتبط معهم برابطة العقيدة وهي أقدس الروابط وأقواها — جل أعمال الغدر ، وهذا

ما زاد حملة شعبنا عليهم ، ونظرة السوء لهم .. وهكذا اقترن اسمهم مع الاستعمار ، وصبغ بالوحشية ، واتسم بالهمجية ، وأخذت صفة السوء تلاحقهم . إن هذا لعمل كبير يصدر من السنغاليين الذين لاقوا من الاستعمار ما لاقوا ثم يكونون أعواناً له ، وأداة طيعة له ... ... ولكنهم .

عاشوا تحت حكم الاستعمار فأذلهم وأشعرهم أنهم دون البيض من الأوربيين الذين جاءوا ليأخذوا بيدهم نحو الحضارة والرقي وأنهم سادتهم ، ومتى قبل الإنسان للذل كان اليد التي يضرب بها سيده ، والجسد الذي يتحرك حسب اشارة قائده .

إنهم جند ينفذون ما تأمر القادة ، والقادة من المستعمرين ، ليست وظيفة الجندي إلا إطاعة الأوامر وتنفيذ رأي لمسؤولين عنه .

إنهم جهلة ، أضاف المستعمر إلى جهلهم ذلاً ، فهم لا يعرفون شيئاً عن حقيقة دينهم أولاً ولا عن أوضاع بلادهم ثانياً إضافة إلى أنهم لا يعلمون شيئاً عما يحيط بهم ، وطبيعيٌ ألا يعرفوا عما يجري في بلاد أخرى تبعد عنهم آلاف الأميال بل لم يسمعوا باسمها .

إنهم جند مرتزقة ، يتاقضون رواتبهم لقاء ما ينفذون من أوامر توجه إليهم دون اعتراض أو إبداء ملاحظة ، ولا يقبل الإنسان أن يكون مرتزقاً لدى الظالم إلا عندما تنقطع كل سبل العيش أمامه ، وتسد الطرق في وجهه ، فتضيق به الأرض ، ولم يعد يدري بما يقوم ، ومتى عميت البصيرة لم يعد يجدي الفكر .

إنهم غرباء يعملون في بلاد بعيدة ، والمرء يختلف في سلوكه بين مجتمعه الذي يعيش فيه وبين مجتمع غريب عنه لا يعرف فيه أحداً ، بل ربما هذه الأعمال التي نسميها وحشية يعتبرها ذلك الجندي الجاهل الغريب شجاعة وبطولة ، وأعتقد أن هذا فعل كل جندي يعمل في بلاد غريبة بغض النظر عن جنسه الذي ينتمي إليه .

إنهم يتلقون المعلومات من قادتهم المستعمرين الذين يعطونها لهم خاطئة عن البلاد التي يقاتلون فيها وعن السكان الذين يواجهونهم ، وليس لديهم مصدر آخر للمعلومات ، والجهل مطبق عليهم هم .

إن العلم هو النقطة الأساسية بالنسبة للشعب ، وهو السبيل الوحيد لانقاذه مما يعانيه من أمراض ، وأعتقد لوأن الشعب السنغالي كان على درجة من العلم بالحقيقة لما أقدم جنده على ما أقدموا عليه .

ولست أقصد من وراء هذه الدراسة عن هذه البلاد إلا لمعرفتها واعطاء فكرة صحيحة عنها وعن الرابطة التي تربطنا بها والتي كان يجهلها جنودها ، راجياً أن يعطي أبناؤهم فكرة لإخوانهم عن بلادنا ، وصلتنا بهم ، وعن أساليب الاستعمار بعد أن نالوا استقلالهم ، وأخذوا حريتهم . والله نسأل التوفيق وسداد الخطى .

دمشق ٨ رجب ١٣٩٠ هـ
٨ أيلول ١٩٧٠ م

محمود شاكر

الموقع والحدود

تقع السنغال في غرب إفريقية بين موريتانيا شمالاً وغينيا جنوباً ومالي شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً ، وتمتد على مساحة من الأرض تبلغ ٢٠٠ ألف كم٢ ، تتوسطها غامبيا كالوتد وتشغل ١٠ ألف كم٢ ، أي ما يقارب مساحة لبنان .

وتعتبر هذه البلاد ذات مناظر على وتيرة واحدة فهي منطقة سهلية تميل إلى الغرب قليلاً ، تخترقها أخاديد يصل عمقها إلى ٢٠٠ م حفرتها أنهار السنغال وسلوم وكازامانس ، ويتكون الساحل في الشمال من مصب نهر السنغال حتى شبه جزيرة الرأس الأخضر من تلال رملية ، وتظهر فيه الجدر المتقطعة بصورة قوية والتي جزأها البحر إلى جزر صغيرة كما هي جزيرة غوريه . وعند الرأس الأخضر تظهر صخور

اندفاعية (بازالت حديثة) ، حيث أن الرأس الأخضر عبارة عن تلين بركانيين أجردين، ولقد اتصل هذان التلان بالساحل بواسطة سهم رملي ، ونشأ في هذا المكان ميناء دكار . أما جنوب الرأس الأخضر فيعود الساحل إلى الانخفاض ويكون رملياً،وتوجد مصبات أنهار طينية وتكون عميقة يلجفيها البحر بصورة واسعة وخاصة في مصب نهر سلوم ونهر كازامانس.

موقع بلاد السنغال في افريقيه

أما خلف الشاطىء فيقع سهل رملي يمتد حتى الشمال عند السهول الشمالية التي تغمرها مياه الفيضانات من نهر السنغال . وهذه الرمال والغضار أصلها لحقيات نهرية أو ريحية أو كثبان رملية متحجرة . وفي الشمال الشرقي توجد منطقة شبه صحراوية يطلق عليها صحراء فورلو . أما في الجنوب الشرقي فتوجد سفوح مرتفعات فوتادجالون التي لا يزيد ارتفاعها عن ١٢٠٠ م .

وعلى بعد ٦٠٠ كم من الشاطىء الإفريقي تنتصب جزر الرأس الأخضر وتبلغ مساحتها ٤ ألف كم٢ ، ويرتفع فيها بركان فوغو الخامد إلى ٢٨٠٠ م ، وهي مستعمرة برتغالية ، وتقوم هذه الجزر بدور المحطات البحرية للسفن الذاهبة إلى اميركا .

ولا يمكن معرفة مناخ السنغال بصورة جيدة إلا إذا عرفنا مناخ إفريقية بشكل عام حيث ان السنغال جزء منها وافريقية قارة مناخية أي أن المناخ هو العامل الجغرافي المسيطر على على هذه القارة .

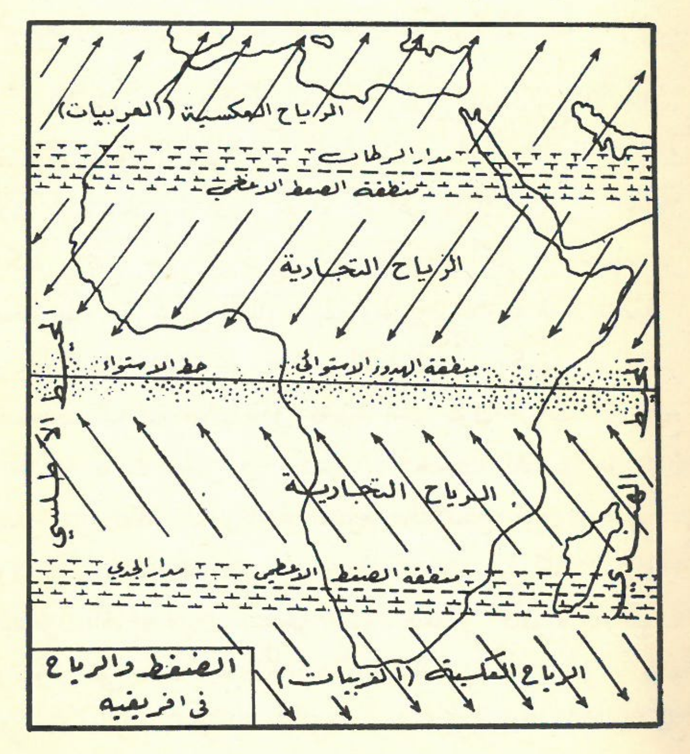
المناخ في إفريقية : على طول خط الاستواء الذي يخترق افريقية تقع أشعة الشمس عمودية على الأرض فيكون تأثيرها على أشده ، ولذلك تصبح المنطقة (نظرياً) أشد مناطق سطح

الأرض تسخناً ، فيتسخن الهواء ويرتفع ، فيتشكل حول الأرض نطاق واسع من الضغوط الخفيفة ، وهذا ما يقال له الضغوط الصغرى الاستوائية والتي عرفها الملاحون باسم « الهدوء الاستوائي » ذلك الهدوء الذي كان يشل حركة الملاحة في عهد الشراع والذي حال دون الدوران حول إفريقية قروناً عديدة .

ولملء هذا الفراغ النسبي الناشىء من تسخن هواء المنطقة الاستوائية يندفع الهواء من نصفي الكرة مؤلفاً رياحاً ثابتة. ولو كانت الكرة الأرضية لا تدور حول محورها لكان اتجاه هذه الرياح من الشمال إلى الجنوب في النصف الشمالي ، ومن الجنوب إلى الشمال في النصف الجنوبي ، ولكن دوران الأرض يجعل هذه الرياح تنحرف نحو اليمين في النصف الشمالي ونحو اليسار في النصف الجنوبي ، وتعرف هذه الرياح بالاليزه أو بالرياح التجارية كما يسميها العرب .

أما الهواء الذي يتسخن ويرتفع في المنطقة الاستوائية فإنه بعد أن يرتفع عدة كيلو مترات في الجو ، يبرد ويفقد رطوبته ويثقل فيحاول الهبوط ، ولكن كتلاً هوائية أخرى تدفعه من الأسفل فيضطر للانسياح نحو الجوانب أي إلى الجنوب والشمال مؤلفاً في الطبقات العليا من الجو رياحاً تعرف بالاليزه المعاكسة يظهر أثرها من ارتفاع ٣٠٠٠ م تدفع ببعض الغيوم

نحو ذرا كتلة الأحجار في الصحراء الافريقية الكبرى. وهذه الرياح بدورها تصاب بانحراف بسبب دوران الأرض ، وكلما سارت فقدت قسطاً من حرارتها ، فثقلت وتنازلت نحو سطح الأرض حتى تهبط وتتجمع فوق بعضها ، فيضغط بعضها بعضاً مؤلفة منطقة الضغوط الثقيلة الممتدة في نصفي الكرة والتي تنساح الرياح منها .



وهكذا نرى أن إفريقية من حيث الضغوط والرياح تشمل على ثلاث مناطق كبرى :

١ — ضغوط خفيفة استوائية مع هدوء ريحي استوائي .

٢ — الرياح التجارية وضغوط عظمى تحت المنطقة المدارية.

٣ — وان إفريقية لا تمس المناطق المعتدلة حقاً ذات الرياح الغربية والفجوات السيكلونية الكثيرة إلا مساً ضئيلاً .

الأمطار : هذا التوزع في الضغوط يرافقه توزع الأمطار، فمنطقة الهدوء الاستوائي هي أكثر مناطق افريقية أمطاراً وذلك لأن شدة الحرارة تجعل الهواء يتصاعد مثقلاً ببخار الماء فلا يكاد يرتفع حتى يبرد في الجو فيسقط أكثر ما يحمله من بخار الماء على شكل أمطار عنيفة وغزيرة ملازمة لهذه المنطقة ، ويبدأ النهار عادة بجو صاحٍ لا يلبث أن يكفهر ثم تنتشر السحب الداكنة الكثيفة في تغطية الجو دون هبوب أي ريح كما لو كانت تخلق في مكانها ، فتحجب الشمس دون أن تقلل من لظاها ، وتأخذ الغيوم بالتكدس فوق بعضها ، ولا تزال الغيوم تتجمع حتى تزول الشمس عن كبد السماء ، فيتحرك الهواء قليلاً فتتفجر الغيوم بأمطار كأفواه القرب ، وتدوم حتى المساء حيث تنقشع السماء ويصحو الجو . هذه هي الأمطار الاستوائية المألوفة ، وتتكرر هذة الحالة كل

يوم من أيام السنة تقريباً .

أما المنطقتان تحت المدارية ذات الضغط الأعظمي وذات رياح الأليزه فإنهما منطقتان جافتان ، فطبيعة الضغوط العظمى تحول دون التهطال لأن الهواء المضغوط يتسخن فترتفع درجة اشباعه ببخار الماء فيصبح مجففاً متعطشاً للرطوبة ، ولذلك فالرياح الهابطة من أعالي الجو نحو الأرض في هذه المنطقة هي رياح جافة لا رياح مسببة للأمطار ، وكذلك حال رياح الأليزه التي تهب باستمرار من عروض بعيدة من خط الاستواء نحو مناطق متزايدة في الحرارة ، فهذه الرياح تتسخن باستمرار وترتفع درجة تشبعها ببخار الماء ، ولذلك فليس من منطقة صالحة للتهطال إلا في شمال منطقة الضغوط العظمى وفي جنوبها أي في منطقة الرياح الغربية حيث تمر باستمرار الفجوات السيكلونية الداعية للأمطار .

وعلى هذا يمكن وصف إفريقية كما يلي بصورة مبسطة : منطقة حرارة شديدة مستمرة وأمطار يومية حول خط الاستواء، ويكتنف هذه المنطقة الاستوائية هامشان عريضان صحراويان، وشريط معتدل في أقصى الجنوب وشريط معتدل في أقصى الشمال من افريقية . هذه هي صورة إفريقية فيما لو كان محور الأرض ثابتاً في وضعه بالنسبة لأشعة الشمس ، ولكن اختلاف هذا الميل يجعل هذه الصورة المبسطة تتبدل تبدلاً كبيراً .

فخط الاستواء الحروري الذي ترافقه الضغوط الخفيفة الاستوائية ينتقل تبعاً لميل أشعة الشمس على محور الأرض ، ينتقل من مدار إلى مدار حسب حركة الشمس الظاهرية . ففي الاعتدالين فقط تتحقق الصورة المبسطة التي ذكرناها آنفاً ، أما فيما عدا هذين اليومين فإن جميع آلية المناخ الاستوائي أي : منطقة الهدوء الاستوائي والأمطار الغزيرة الاستوائية ، ومجال رياح الأليزه ومنطقة الضغوط العظمى تحت المدارية كل هذه الآلية تنتقل من الشمال إلى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال بين المدارين . ولا تصل منطقة الضغوط الصغرى إلى المدارين أبداً بل تبقى ضمن خط عرض ١٨° شمالاً وجنوباً ، وبالمقابل فإن المنطقة الجافة (منطقة الأليزه) تعبر باستمرار المدارين وتقترب من خط الاستواء .

ولذلك فالمناخ الإفريقي يشتمل على اختلافات خاصة به ، فبين المنطقة الاستوائية المروية بالأمطار المستمرة وبين المنطقة تحت المدارية الجافة دوما تنتشر المنطقة بين المدارية وتأخذ بصفتي المنطقتين اللتين تكتنفاها ، فحينما تمر الشمس بالسمت في هذه المنطقة فإنها تدخل في مجال المنطقة الاستوائية ويكون الفصل فيها فصل أمطار أو « الفصل الرطب » ، أما إذا انفكت الشمس عن المسامتة في هذه المنطقة ، وأصبحت تسامت النصف الثاني من الكرة الأرضية فإن الرياح الأليزه تعود

إلى اكتساح هذه المنطقة ويكون الفصل « فصل الجفاف » ، وإن مدة هذين الفصلين وشدتهما تختلفان حسب بعد هذه المنطقة عن خط الاستواء فكلما ابتعدنا عن خط الاستواء كلما تناقص طول فصل الأمطار تدريجياً حتى ينعدم بخط العرض ١٨° تقريباً .

المناخ في السنغال : تقع بلاد السنغال بين خطي عرض ١٢,٣٠° — ١٨,٢٠° شمال خط الاستواء ، أي توجد ضمن المنطقة بين المدارية لذا ينقسم العام فيها إلى فصلين : فصل جاف وفصل مطير .

الفصل الجاف : ويمتد من تشرين الأول إلى أواخر آذار ، وتهب في هذا الفصل رياح تسمى « رياح الحرمطان » وتأتي هذه الرياح من الشمال الشرقي ، وسببها وجود ضغط أعظمي على الشمال الشرقي من افريقية بينما يسود في المناطق الاستوائية ضغوط خفيفة تستدعي الرياح من الضغط الأعظمي في الشمال الشرقي من افريقية . وهذه الرياح قارية بالمقام الأول تزيد في السعة الحرورية اليومية فتخفض الحرارة صباحاً وترفعها بعد الظهر ويترافق ذلك مع تدن شديد في درجة رطوبة الهواء . وتثير هذه الرياح الغبار كما أنها تحمل أرتال الجراد . وتختلف مدة هبوب هذه الرياح بين شمال البلاد وجنوبها فتهب في

الشمال مدة ثمانية أشهر بينما لا تتجاوز في الجنوب مدة ٦ أشهر .

ويسود على الساحل نسيم منتظم ينقلب مرتين كل ٢٤ ساعة فيهب في النهار من البحر إلى البر ، وفي الليل يهب بعكس ذلك من البر إلى البحر .

الفصل الماطر : ويمتد من مايس إلى ايلول ، وتهب في هذا الفصل الرياح البحرية من الجنوب الغربي ، وسببها وجود ضغط خفيف يسيطر على منطقة الصحراء بسبب ارتفاع الحرارة بينما يكون البحر ذا ضغط أعظم نسبياً وهذا ما يستدعي الرياح البحرية لتنجذب نحو الداخل وهي عبارة عن رياح موسمية ، وتكون هذه الرياح مشبعة بالرطوبة فتسقط جزءاً مما تحمله من الماء مباشرة على الساحل ، وتزداد أهمية الأمطار السنوية كلما ابتعدنا عن الصحراء إلى الجنوب ذلك لأن الرياح الموسمية تبدأ في الجنوب باكراً وتدوم طويلاً فيبدأ فصل الأمطار في كازا مانس في آخر مايس وفي غامبيا في حزيران ، وفي سان لويس في تموز . وتبلغ كمية الأمطار في مدينة سيدهيو عند مصب نهر كازامانس ١٥٥٢ مم بينما هي في دكار ٥١٤ مم وفي سان لويس ٤٢٣ مم . وتتناقص هذه الكمية بالاتجاه نحو الشمال الشرقي حتى تصبح منطقة فورلو شبه صحراوية .

وينتهي فصل الأمطار ويبدأ عادة بفترة عواصف زوبعية ، وهي ليست سوى اضطرابات جوية عنيفة وقصيرة وعواصف قوية يسبقها ويعقبها رياح قوية ، واتجاه هذه العواصف والزوابع من الشرق إلى الغرب ، وسببها انقطاع في توازن كتلة الهواء ، وهذا الانقطاع ينشأ عن بدء الرياح الموسمية في الهبوب أو عن انقطاعها ، وهذه الزوابع تنتهي تماماً حينما يتفوق أحد الفريقين على الآخر ، الأليزه على الرياح الموسمية أو هذه على الأليزه .

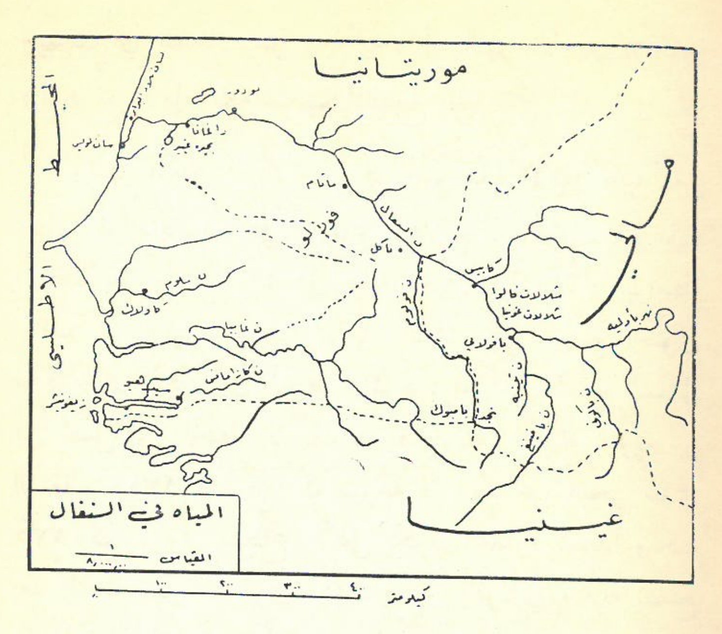
ولا تكون أخفض درجات الحرارة في الشتاء وإنما في تموز وآب حيث تعدل الأمطار من الحرارة المرتفعة ويكون المعدل الوسطي ٢٤° . كما أن أعلى الحرارة تكون في آخر الفصل الجاف حيث يبلغ متوسطها ٢٧° في نيسان. والاختلافات السنوية واليومية للحرارة التي نراها في الصحراء كبيرة حيث الجو فقير ببخار الماء ، هذه الاختلافات تتناقص كلما أوغلنا نحو الجنوب ، وللسبب ذاته فالاختلافات الحرورية اليومية في كل مكان هي أشد في الفصل الجاف منها في الفصل الماطر ، وهي تشتد كلما أوغلنا في الداخل وابتعدنا عن الساحل .

ويؤثر في مناخ الساحل تيار كناريا البارد الذي يساير الساحل الإفريقي من الشمال الغربي ، وهو شريط من المياه

البـاردة ، حيث تكون أبرد مما هي وسط المحيط على العرض ذاته ، وهذا الشريط من الماء البارد يتحرك حركة بطيئة نحو الجنوب . ولا يتجاوز عرض هذا الشريط ١٢–١٥ كم ، والفرق بين حرارة مياهه وحرارة أواسط المحيط لا يظهر واضحاً إلا في الصيف ، ويزداد من الشمال إلى الجنوب ، ولهذا التيار أثره في الرطوبة الجوية ، فيبرد جو الساحل بتأثير الماء البارد الذي يشكل التيار ، ويكون الجو بشكل دائم رطباً جداً . وتقل الأمطار على السواحل التي تحف بها تيارات باردة ، حيث أن الهواء المار فوق تيارات بحرية باردة ترتفع درجة حرارته عندما يصل إلى اليابس ، فتزداد قابليته لحمل بخار الماء ، وحينئذٍ يكون عاملاً من عوامل الجفاف .

هذا ويمتد طرف تيار كناريا الجنوبي نحو الجنوب في شهر آذار إلى مدى أبعد مما يمتد إليه في شهر ايلول ، ومن المعتقد أن أصل هذا التيار ونشأته يرجع سببهما إلى الرياح السائدة الشمالية ، وكذلك إلى الشكل العام لساحل غرب إفريقية . والمعتقد أيضاً أن تيار كناريا ليس تياراً مندفعاً خالصاً بل إنه ناشىء نتيجة لتحول التيار الاستوائي الشمالي عن الساحل الافريقي ، بفعل هبوب الرياح التجارية الشمالية الشرقية .

المياه : لما كانت الأمطار في السنغال تهطل في فترة واحدة هي الصيف بينما تنحجب بقية أيام السنة كانت الأنهار



المياه في السنغال

ذات مجرى سيلي تجري فترة وتنقطع أخرى وهذا شأن أكثر الأنهار في مجاريها العليا في بلاد السنغال، والأنهار الدائمة يجب أن تكون إما ساحلية أو تمتد برؤوسها نحو الجنوب حيث المناطق أغزر أمطاراً وأكثر دواماً في التهطال ، وأهم الأنهار في بلاد السنغال :

نهر السنغال : هو أول نهر دائم الجريان ويتمكن من بلوغ البحر في جنوب الصحراء ، ويتألف من اجتماع نهر « بافينغ » أو النهر الأسود مع نهر « باكوى » أو النهر الأبيض،

ويصب في السنغال نهر « باوليه » أو النهر الأحمر (كلمة « با » تعني ماء بلغة شعب الماندينغ .

والنهر الأسود « بافينغ » هو أهم هذه الأنهار ويبدأ من جبال فوتادجالون على ارتفاع ٧٥٠ م ، وتصب فيه المياه الساقطة على السفح الشمالي لهذه الجبال مباشرة أو بواسطة رافده نهر « تينيه » بينما الأنهار الناشئة على السفح الجنوبي لهذه الجبال تذهب إلى المحيط مباشرة ، أما أنهار السفح الشمالي فلا تصل إلى المحيط إلا بعد دورة طويلة . ويبلغ طول نهر السنغال ١٧٠٠ كم مع أن ينبوعه لا يبعد عن البحر سوى ٢٧٥ كم ، وفي القطاع الأعلى يكون انحداره شديداً ولكنه بعد التقائه بنهر « باكوي » عند بلدة « بافولابي » فإنه يصبح على ارتفاع ٩٢ م فقط عن سطح البحر ومعنى هذا يصبح قليل الانحدار ، ولكنه يجتاز عدة شلالات أشهرها « شلالات غونيا » و « شلالات فالوا » التي ترتفع ٣٠ م ثم يدخل مدينة « كاييس » وقبل بلدة « باكل » بـ ٣٠ كم يتلقى رافداً آخر هو نهر « فولوم » وبنفس الوقت يكون قد دخل في أرض السنغال بينما كان يجري من قبل مع روافده في بلاد مالي وأجزاء صغيرة في غينيا ، ويحمل نهر فالوم قسماً من المياه الساقطة على نجد بامبوك ، ويكون غزير المياه في فصل الأمطار وشبه جاف في فصل الجفاف شأن جميع الروافد الرئيسية

لنهر السنغال . وبعد بلدة « باكل » لا يتلقى النهر أي رافد دائم ، وذلك لأنه بعد هذه البلدة يخرج النهر من منطقة الأمطار الغزيرة إلى منطقة الأمطار القليلة أو إلى المنطقة الجافة وتصبح ضفتاه محرومتين من الروافد الدائمة طوال السنة . ووادي السنغال يفصل في هذا القطاع الأسفل بعد « باكل » المناطق الصحراوية لموريتانيا في الشمال عن المناطق شبه الصحراوية في الجنوب : مناطق « فورلو » و « دجولوف » وفي منطقة « فورلو » تصبح التربة أفقية كتيمة فلا تتمكن المياه من الانسياب فتمكث في مكانها وتشكل مستنقعات وتتبخر . وفي الشمال توجد أنهار صغيرة حفرت وديانها في النجود الصحراوية واتصلت بالسنغال ، كما توجد بعض المستنقعات الصغيرة ، ولكن هذه الأنهار والمستنقعات لا توصل مياهها إلى السنغال إلا بشكل متقطع . والسرير الكبير لنهر السنغال يتألف من سهل لحقي يتراوح عرضه ١٥—٢٠ كم ، وفي فصل النقصان فإن النهر يجري بين جدارين عضاريين يتراوح ارتفاعهما ١٠—١٢ م ، وهذان الجداران يحجزان النهر عن الحفر التي ينصب فيها الفائض من مياه النهر أثناء فصل الأمطار .

وفي قطاعه الأسفل يتشعب النهر إلى عدة فروع وتنشأ عليه المستنقعات التي تأخذ ماءها من النهر في فصل الأمطار وترجع المياه إليه في فصل الجفاف ،ومن بلدة « باكل » إلى

بلدة « داغانا » على طول ٦٠٠ كم يترافق النهر مع أنهار كاذبة موازية له ترافقه على شاطئه الأيسر مثل مستنقع «دويه» كما يوجد شبكة من المجاري في منطقة « فورلو » أصلها فروع قديمة للنهر . وابتداء من بلدة « بودر » ينعطف السنغال نحو الغرب ثم نحو الجنوب الغربي ، وينتهي في البحر عند مدينة « سان لويس » ، وتنعدم الفروع الكاذبة بعد بلدة « داغانا » ويزيد عرض النهر كثيراً ، ويجتاز في هذه المنطقة حفرة عرضانية توجد فيها بحيرة « غيير »،وتتصل بحيرة « غيير » بنهر السنغال بواسطة نهر « تاوي » ، ويكون انحدار الماء نحو البحيرة من مايس إلى ايلول وإلى النهر من تشرين إلى نيسان . ثم ينقسم النهر من جديد إلى عدة فروع وتصبح المنطقة كلها عبارة عن جزر وجزر صغيرة وخطوط من المستنقعات تفصلها الأنهار عن بعضها ، وتتغير سواحلها وأشكالها وأعماقها عقب كل فيضان ، وهذه البلاد البحيرية تقريباً في فصل الفيضان ، يحدها من الغرب شريط ساحلي يعرف باسم « لسان بلاد البرابرة » وطول هذا اللسان ٣٥ كم ويتراوح عرضه بين ٣٥٠–٤٠٠ م ، ويفصل هذا اللسان النهر عن البحر ويجبر مصب النهر على التوجه نحو الجنوب ، ويتلقى هذا اللسان من احدى وجهتيه لطمة الموج كما يتلقى على وجهته الثانية ضغط المياه العذبة ، ولذلك فإن هذا الجدار

ينهدم في بعض النقاط ، فيشكل في مكان الانهدام ثغرة تصل المياه العذبة مباشرة مع البحر ، ولكن مكان الثغرة متنقل باستمرار . ومصب النهر ذاته مسطوم بالرمال المجروفة مع مياه النهر ، وتؤلف هذه الرمال حاجزاً أمام المصب بسبب التيار النهري وتيار المد والجزر ، وفي فصل الأمطار يتغلب النهر على مياه البحر فيدفعها ١٠ كم في عرض البحر ، وتنشأ طبقة من المياه العذبة تعلو المياه المالحة التي هي أثقل من المياه العذبة ، وفي فصل الجفاف يحدث العكس إذ تتناقص غزارة السنغال حتى تصبح شبه معدومة فتكتسح مياه البحر المصب ولا يبلغ سمك مياه النهر في المصب أكثر من ٢,٥ م .

ونهر السنغال يرسم انعطافاً كبيراً نحو الشمال ، ويحمل إلى مناطق جافة مياه المناطق الجنوبية الرطبة ، وابتداء الفصل الماطر يكون في نيسان أو مايس في القطاع الأعلى ، وفي تموز وآب في القطاع الأوسط حيث تتأخر الأمطار وتقل غزارتها . أما الفيضان السنوي فيبدأ في حزيران وينتهي في ايلول ، وترتفع المياه أثناء الفيضان ٨ أمتار في بلدة كاييس حيث تتراوح الغزارة من ٥ م٣ في فترة النقصان إلى ٤٠٠ م٣ أو ٥٠٠ م٣ في فترة الفيضان . ولذلك فشروط الملاحة تختلف كثيراً في النهر حسب الفصول ، والفيضان يختلف كثيراً من سنة إلى أخرى وقد ينعدم تماماً في بعض السنين .

نهر سلوم : وهو نهر قصير نستطيع أن نسميه نهراً ساحلياً وإن كان يمتد في مجراه الأعلى إلى الداخل حتى أواسط منطقة فورلو شبه الصحراوية ولكنه يكون سيلياً في أعلاه وتقع عليه مدينة « كاولاك » .

نهر غامبيا : وهو نهر طويل ينبع من السفوح الشمالية لجبال فوتا دجالون ، ولكنه لا يلبث أن ينتهي مجراه من بلاد غينيا ويدخل في أرض السنغال ، ويكون في بلاد غينيا شديد الانحدار ، ثم يجري في مناطق مكشوفة تماماً حتى مصبه في البحر ، بعد أن يجري في غامبيا من أولها لآخرها ، بل لا تتعدى حدودها ضفافه كثيراً ، وتكون داخل السنغال كالوتد حيث محاطة بأرض السنغال من جميع الجهات ما عدا الفتحة الصغيرة من الغرب التي تنفتح منها نحو المحيط .

نهر كازامانس : ويجري في منطقة غزيرة الأمطار ، لذلك تكون مياهه غزيرة رغم قصر المسافة التي يقطعها وتقع مدينة « سيدهيو » عند مصبه ، بينما على الخليج توجد مدينة « زيغوينشر » ، وفي جنوبه تمتد الحدود التي تفصل السنغال عن غينيا البرتغالية .

هذه الأنهار الثلاثة الأخيرة ذات مصبات واسعة وتتغلغل إلى داخل القارة على مسافة ٣٠٠ كم أحياناً ، وهذا الساحل

هو ساحل مغرق حديثاً حيث طغى البحر على القطاعات السفلى من الوديان ، ويعرف باسم (ساحل ذو رياس) ، ويظهر تماماً في مصبات الأنهار المذكورة .

* * *

نهر سلوم : وهو نهر قصير نستطيع أن نسميه نهراً ساحلياً وإن كان يمتد في مجراه الأعلى إلى الداخل حتى أواسط منطقة فورلو شبه الصحراوية ولكنه يكون سيلياً في أعلاه وتقع عليه مدينة « كاولاك » .

نهر غامبيا : وهو نهر طويل ينبع من السفوح الشمالية لجبال فوتا دجالون ، ولكنه لا يلبث أن ينتهي مجراه من بلاد غينيا ويدخل في أرض السنغال ، ويكون في بلاد غينيا شديد الانحدار ، ثم يجري في مناطق مكشوفة تماماً حتى مصبه في البحر ، بعد أن يجري في غامبيا من أولها لآخرها ، بل لا تتعدى حدودها ضفافه كثيراً ، وتكون داخل السنغال كالوتد حيث محاطة بأرض السنغال من جميع الجهات ما عدا الفتحة الصغيرة من الغرب التي تنفتح منها نحو المحيط .

نهر كازامانس : ويجري في منطقة غزيرة الأمطار ، لذلك تكون مياهه غزيرة رغم قصر المسافة التي يقطعها وتقع مدينة « سيدهيو » عند مصبه ، بينما على الخليج توجد مدينة « زيغوينشر » ، وفي جنوبه تمتد الحدود التي تفصل السنغال عن غينيا البرتغالية .

هذه الأنهار الثلاثة الأخيرة ذات مصبات واسعة وتتغلغل إلى داخل القارة على مسافة ٣٠٠ كم أحياناً ، وهذا الساحل

هو ساحل مغرق حديثاً حيث طغى البحر على القطاعات السفلى من الوديان ، ويعرف باسم (ساحل ذو رياس) ، ويظهر تماماً في مصبات الأنهار المذكورة .

* * *

النبات والحيوان

يخضع النبات والحيوان لسيطرة المناخ خضوعاً يكاد يكون تاماً ، وأثر الإنسان ضئيل في هذين المجالين ، إلا إذا اعتبرنا الضرر الذي ألحقه الإنسان بالنبات والحيوان في المنطقة ، فالإنسان قد قطع الغابة أو رعاها بمواشيه أو أحرقها ليقيم مكانها زراعة .. واصطاد الحيوان ولاحقه في كل مكان .

النبات : نجد في السنغال شجرة « الباوباب » التي تمثل الادغال الإفريقية ، وهي شجرة الفصلين التي تتجاوب تماماً مع المناخ في المنطقة بين المدارية ، فغزارة الأمطار تمثل لنا ضخامة هذه الشجرة ، وطول الفصل الجاف يفسر ضخامة ساقها وقلة أغصانها التي تشبه الفروع التي أحرقتها الشمس فانكمشت على نفسها ولم تمتد ولم تكبر ، ومنظر هذه الشجرة موحش إذ أن ساقها ذو قشر رمادي اللون مشقق سميك .

وعلى الساحل نجد شجرة أخرى تتناقض في مظهرها مع شجرة « الباوباب » ألا وهي شجرة جوز الهند (النارجيل) ذات الأغصان الكثيرة الخضراء اليانعة وذات الجذع الرقيق الملتوي اللين الذي يمكن أن ينثني حتى يصل إلى الأرض ، وتوجد جنوب الرأس الأخضر ولكنها تظل دوماً على الساحل ولا توغل إلى الداخل أبداً إذ أنها تتطلب عبير البحار المدارية الدائم.

وهناك شجرة تتطلب حرارة كثيرة وأمطاراً غزيرة ، ولكنها أقدر من شجرة جوز الهند على تحمل الجفاف وهي شجرة النخيل الزيتية التي يستخرج منها الزيت ، وتحتل هذه الشجرة المنطقة الرطبة في جنوب البلاد في اقليم كازامانس . ولقد أصبحت هذه الشجرة عرضة للزراعة وتقوم عليها الحياة الزراعية ، وتتصف بطول ساقها واستقامته وبكثرة أوراقها وثمارها الخضراء القاتمة .

وإذا ابتعدنا عن الساحل وتجاوزنا اقليم كازامانس ، فإن أكثر مناطق السنغال تعتبر سهبية حيث تنتشر بعض الأشجار تطيف بالأنهار على شكل شرط أو تعلو التلال ، أو تنتشر السافانا التي تقصر كلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي حتى تصل إلى منطقة « فورلو » شبه الصحراوية ، وقد تتبعثر بين هذه الأعشاب بعض الشجيرات وقد تكون من الأنواع الشوكية ، ذات الجذوع الضعيفة والفروع الكثيرة. وفي المناطق القليلة

المطر يساعد الجفاف على نمو شجرة النخيل التي هي شجرة الصحراء،وتكون كما يقول أهل البدو أصلها في الماء وفرعها في النار (أي في الشمس المحرقة) ، كما أن هذه الشجرة تحتاج إلى الإنسان لذلك فالواحة هي موطنها الأصلي . كذلك يوجد الخيزران وشجر الساج الإفريقي .

وتملك السنغال غابة مساحتها ٢,٤٩٠ ألف هكتار معظمها في القسم الجنوبي من البلاد .

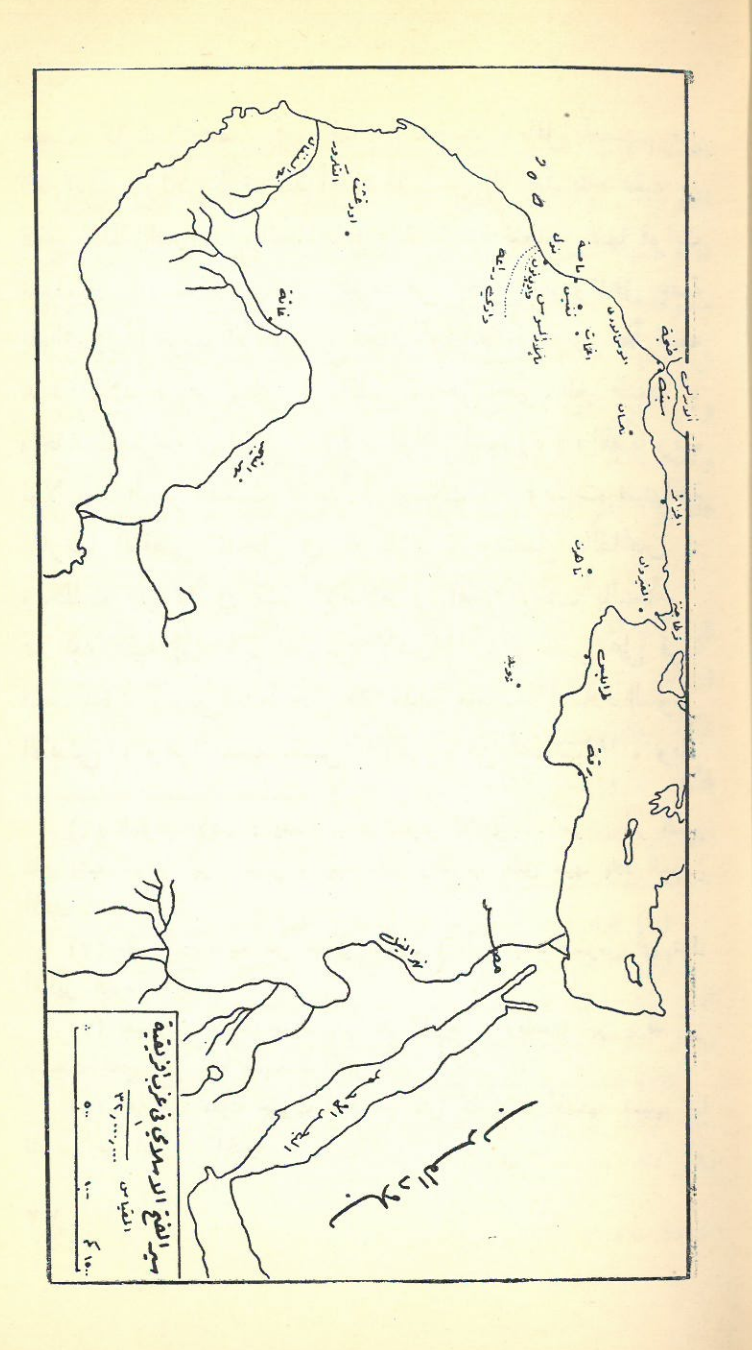
الحيوان : إن مناطق السهوب الحارة هي موطن الحيوانات الكبيرة المتغذية بالأعشاب كالوعل والزرافة والنعامة والجاموس الوحشي والكركدن ، وبسبب وجود الحيوانات العاشبة نجد الحيوانات اللاحمة التي تلاحق الأولى وتتغذى بها . ثم نرى القرود الكبيرة كالغوريلا والشيمبانزي .

الحياة البشرية

لمحة تاريخية

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب: بعد أن أتم المسلمون فتح مصر تقدموا نحو برقة وطرابلس ، ثم تدفقوا نحو إفريقية بقصد الفتح ونشر الإسلام وكان سكان افريقية قبائل من البربر[١]،وقد ولي أمر إفريقية عقبة بن نافع الفهري من قبل معاوية

(١) البربر : قبائل تسكن بلاد المغرب وتنتسب إلى الحاميين الذين انتقلوا من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقية ، وتقسم هذه القبائل إلى قسمين ١ : برانس . ٢: بتر .
ومن فروع البرانس صنهاجة ومصمودة ولمطة وكنامه و ...
ومن فروع بتر نفوسه واداسه و ...
وقد تفرع كل فرع إلى عدد من البطون والأفخاذ .



ابن أبي سفيان عام ٥٠ هـ ، فسار بعشرة آلاف من الجند من برقة وزويله(١) ، وأعمل السيف في البربر ، لأنهم كانوا إذا دخل عليهم الأمير أطاعوا ، وأظهروا الإسلام ، وإن عاد نكثوا بعهدهم ، وارتد من أسلم . ولكن معاوية عزل عقبة ، وولى مكانه مسلمة بن مخلد الذي استعمل بدوره على إفريقية مولى له يقال له أبو المهاجر ، وقد استطاع أبو المهاجر أن يوغل في إفريقية بجيوش أهل الشام ومصر ، وأن يصل إلى قرطاجنة(٢) ، ويهادن البربر ، ولكنه لم يستطع أن يقاوم الروم ، غير أن سياسته قد تكللت بالنجاح ، فانتشر الإسلام بين قبائل صنهاجة ، واشترك بعضها في الجيش الذي وجهه أبو المهاجر لفتح الجزائر حيث بلغ مدينة تلمسان(٣) قاعدة المغرب الأوسط .

ولكن **عقبة بن نافع** لم يلبث أن عاد عاملاً على إفريقية في خلافة يزيد بن معاوية بناءً على وصية أبيه ، وبعودته عاد الفتح إلى إفريقية فاستطاع أن يقضي على مقاومة قبائل البرانس التي عاقت تقدمه في المرة الأولى وحالت دون اتمام فتح افريقية

---

(١) زويلة : مدينة في ولاية فزان من أعمال ليبيا .

(٢) قرطاجنة : قريبة من موقع تونس اليوم .

(٣) تلمسان : مدينة في بلاد الجزائر تقع جنوب غرب وهران وقريبة من حدود مراكش .

حيث كانت تتحصن في الجبال وتتخذها معاقل تحميهم من الغارات ، ولكن لم تتوطد أقدام المسلمين إلا بعد بناء عقبة بن نافع مدينة القيروان واتخاذها قاعدة حربية تتجمع فيها قوات المسلمين ، وتندفع منها إلى غيرها من الجهات ، وتدفق عقبة بقواته إلى المغرب الأقصى ، فكان أول فاتح عربي تطأ قدمه هذه البلاد ، ثم توغل في اقليم الساحل حتى بلغ طنجة ، وخاضت فرسه في البحر ، وقال قولته المشهورة « والله يا رب لولا هذا البحر لمضيت مجاهداً في سبيلك » . وبدأت صنهاجة المغرب الأقصى تدخل في الإسلام ، وتتصل بالفاتحين ، وتكللت جهوده في نشر الإسلام في اقليم الريف بالنجاح . ثم اتجه عقبة إلى اقليم السوس الأدنى[١] ، وانتصر على قبيلة المصامدة ، ومضى قدماً حتى بلغ مدينة ماسّة[٢] ببلاد السوس الأقصى ، وغزا مدينة نفيس[٣] القريبة من أغمات[٤] ، وبلغ

---

(١) السوس الأدنى : يقصد ببلاد السوس الأدنى بلاد حوض نهر السبو الذي يشبه حوض نهر السوس ونتيجة للشبه والقرب يطلق عليها بلاد السوس الأدنى .

(٢) ماسة : مدينة على ساحل المحيط في أول بلاد السوس أي شمال أغادير اليوم .

(٣) نفيس : مدينة جنوب مراكش اليوم ، وباسمها نهر يرفد نهر تنسيفت الذي تقع عليه مدينة مراكش .

(٤) اغمات : مدينة جنوب شرق مراكش كانت لها أهميتها بسبب أنها تشرف على الممرات الجبلية .

مدينة نول[١] على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى بلاد المغرب . وكانت بعض قبائل الملثمين[٢] تنزل هذه البلاد ، فقاومت عقبة أول الأمر دفاعاً عن كيانها ، ولكنه هزم مسوفة ، وأخضع الملثمين لسلطان الإسلام ، وبنى مسجداً في مدينة ماسة ترك فيه من يعلم الناس مبادىء الإسلام ، ومن المؤرخين من يقول إن عقبة قد أوغل في بلاد السودان ، وفتح بلاد التكرور وغانة ولكن هذا بعيداً ، ويحتمل أن يكون قد غزا أطراف مملكة غانة التي كانت تمتد حتى وادي نون .

وكان في جيش عقبة كبير من البربر يدعى كسيلة أسلم في أيام أبي المهاجر ، وكان شيء من النفور بين عقبة وأبي المهاجر ، وانتقل هذا النفور إلى عقبة وكسيلة . عرف الروم هذا الجفاء بين الرجلين فراسلوا كسيلة في أن ينضم إليهم ، فقبل ، وجمع أهله وبني عمه ، وقصد عقبة ، فقال أبو المهاجر لعقبة : عاجله قبل أن يقوى جمعه[٣] ، فزحف

---

(١) نول : مدينة على ساحل المحيط في أقصى بلاد السوس .

(٢) الملثمون : فرع من صنهاجة ، وقد سموا بذلك لأنهم يضعون اللثام ليلا ونهاراً ، حضراً وسفراً ، ولعلهم اتخذوه في الأصل اتقاء للبرد والحر ، واتقاء لرمال الصحراء ، أو خدعة وتنكراً في الحروب .

(٣) عندما ارتد كسيلة قطعت كل صلة بينه وبين أبي المهاجر ، وأصبحت صلة الإيمان هي التي تربط عقبة مع أبي المهاجر الذي من واجبه النصيحة ، وقد أداها ، وعمل عقبة بها .

عقبة إلى كسيلة ، فتنحى هذا عن طريقه حتى يكثر جمعه ، ولما كثر ، اتفق مع الروم ، فهاجموا المسلمين ، وقتلوهم فقتل المسلمون جميعهم ، لم يفلت منهم أحد ، وقتل عقبة وأبو المهاجر ، وكان في القيروان قيس بن زهير البلوي خليفة عليها ، فأراد القتال فلم يطعه الجيش ، فاضطر إلى مبارحة القيروان والمسير إلى برقة والمقام بها ، أما كسيلة فقد جاء إلى القيروان ، وامتلكها ، حتى استطاع حسان بن النعمان أن يهزم قوات البربر وان يعيد إفريقية[١] إلى حظيرة الإسلام ، ولم يستطع المسلمون أن يوغلوا في المغرب الأقصى مرة أخرى إلا بعد أن استطاع قيس بن زهير البلوي أن يهزم كسيلة زعيم البربر ، وأن يتعقبه حتى منطقة طنجة ، ويقتله . ولكن الروم وقفوا لجهود المسلمين بالمرصاد ، وتمكنوا من الإطاحة بهذه الانتصارات حيث لقي زهير بن قيس نفس المصير الذي لقيه سلفه ، ذلك أن الروم أعدوا له كمينا آخر عند برقة ، فاستشهد نتيجة ذلك في عام ٧٠ هـ — ٦٩٠ م على أرض برقة .

وخرجت حملة **حسان بن النعمان** والي مصر عام ٧٦ هـ — ٦٩٦ م بقصد الاستقرار ، ولكنها لم تستطع ، واضطر الانسحاب إلى برقة ، وجاءت امدادات جديدة من مصر

(١) إفريقية : اسم كان يطلق على منطقة تونس اليوم .

استطاع بفضلها الانتصار على الروم ، وقتل الكاهنة[١] زعيمة القبائل المرتدة ، وثبت مكان المسلمين .

وبعد أن انتهى الأمويون من القضاء على عبد الله بن الزبير في الحجاز عام ٧٣ هـ — ٦٩٣ م توجه اهتمامهم نحو إفريقية ، فاختاروا لها رجلاً قوياً كفءاً ليقود الفتوح بعد حسان بن النعمان ألا وهو **موسى بن نصير** الذي ترسم خطا عقبة ، وأتم الرسالة التي كان قد بدأها ، وقاد جحافل المسلمين إلى المغرب الأقصى ، وسلك نفس الطريق التي سلكها عقبة ، حتى أدرك طنجة ، ثم اتجه إلى سبتة ، ومنها نحو اقليم السوس الأدنى ، ثم انحدر على ساحل المحيط الأطلسي كما فعل عقبة من قبل حتى بلغ وادي الذراع ، وأخضع القبائل التي ارتدت عن الإسلام بعد مقتل عقبة .

رأى موسى أن يعمد أولاً إلى تأمين المنطقة التي تقع فيها القيروان — قاعدة الفتوح — لأن هذه المنطقة هي الميدان الذي بث فيه الروم نشاطهم لإفساد كل تقدم للمسلمين ، ومنها تنطلق الطرق إلى سائر جهات شمال افريقية الدانية منها والقاصية ، وكانت هذه المنطقة قد قسمت تقسيماً إدارياً أطلق عليه الروم أيام سيادتهم عليه اسم « افريقية » تمييزاً له

(١) الكاهنة : هي دهيا بنت مانية بنت نيفات من قبيلة جراوة من البتر ، قاومت الفتح الإسلامي .

عن سائر الأقسام الإدارية التي قسموا إليها الرقعة الشاسعة لامتداد شمال إفريقية من حدود مصر إلى ساحل المحيط الأطلسي. وكان اهتمام موسى بن نصير بدعم مركز القاعدة الإسلامية في افريقية الأساس المتين الذي شيد عليه مجده الحربي في سائر أرجاء إفريقية فيما بعد ، حيث يعتبر هذا القسم عصب الامتداد الواسع لبلاد شمال افريقية كلها ، وهو الحلقة التي تربط شرقها بغربها ، ومن ثم كان استقرار أقدام المسلمين في « افريقية » معناه استقرار الفتوح بصفة دائمة في سائر أرجاء شمال افريقية وبخاصة في المغربين الأوسط والأقصى . وكان هذان القسمان الأخيران يجذبان أقطار قادة الفتوح الإسلامية دائماً ، وهو الأمر الذي جعلهم جميعاً – قبل موسى بن نصير – ينطلقون في أراضيهما دون ادراك لأهمية القاعدة الأولى في « إفريقية » ، ووقع تحت تأثير هذا الجغرافي القائد عقبة بن نافع الفهري الذي بلغ شواطىء الأطلسي ثم ارتد بسرعة ، ودفع حياته ثمناً ، وكذا حدث للقائد حسان بن النعمان ، هذه الناحية الجغرافية ذات أهمية كبرى إذ أن الممرات والسهول تتسع باتجاه الغرب ، فتغري القادة في التقدم فيها ، والاندفاع نحو الغرب في حين ترتفع الجبال ، وتقل الممرات عبرها بين الشمال والجنوب .

ولم يكن موسى بن نصير فاتحاً فحسب وإنما كان سياسياً

بارعاً ، فقرب إليه البربر ، وأشركهم في الحكم والجيش ، فكان هذا كفيلاً عملياً لشرح رسالة الإسلام للبربر ، إضافة إلى التنظيم وسير الإدارة ، فحسن إسلام البربر ، وعملوا مجاهدين صادقين في سبيل نشر الدين الإسلامي ، فبنيت المساجد واقتلعت جذور المعتقدات الدينية القديمة من السكان المحليين ، وتثبتت أركان الدين الإسلامي ، وعين الفقهاء في المدن ليعلموا الناس القرآن الكريم وقواعد الإسلام ، ومع انتشار الإسلام انتشر تعلم اللغة العربية ، واقيمت المعاهد التعليمية لذلك .

وتابع خلفاء موسى سياسته الرشيدة بدعوة البربر إلى الإسلام فإن اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر الذي ولي إفريقية من قبل عمر بن عبد العزيز عمل على نشر الإسلام في المغرب الأقصى ، ولم يبق في ولايته يومئذ أحد من البربر إلا وأسلم[١] وقد أمد عمر عامله ابن أبي المهاجر بطائفة من التابعين ، انتشروا في البلاد يحثون الناس على دخول الإسلام ، ويبصرونهم بشؤون دينهم ، ويقيمون الحدود ، ويحاربون المفاسد .

وهكذا أصبحت بلاد المغرب قاعدة للإسلام ، ويجب أن ينطلق منها نحو بقية إفريقية ، ونستطيع أن نقول إنه في الوقت الذي شغل فيه المشرق بالخلاف بين العباسيين والأمويين

(١) اعتقد أن هذه رواية مبالغ فيها .

كان ولاة إفريقية يديرون ظهورهم لهذا الخلاف ، ويعتقدون أنه ليس سوى نزاعٍ على المنصب والحكم وبعدٍ عن العمل لله ونشر الإسلام لذلك انصرفوا عنه نحو شؤونٍ دينهم في ولايتهم ، فقد استطاع عبد الرحمن الفهري أن يؤمن طريقاً صحراوياً يسلكها الدعاة والتجار وذلك بأن حفر سلسلة من الآبار تصل بين واحات إفريقية ومدينة اودغشت[١] بأقصى صحراء المغرب الأقصى ، واستطاع جنوده بفضل هذه السياسة أن يعبروا الصحراء ، وأن ينشروا الإسلام بين القبائل الضاربة فيها ، كما استطاع التجار ببلاد المسلمين وبلاد السودان أن يؤدوا نفس العمل ، هذه الطريق إضافة إلى الطريق الساحلية .

وعلى الرغم من وجود المنازعات السياسية والخلافات المذهبية مقتصرة على المشرق فقد استطاع الخوارج نقلها إلى المغرب وذلك بأن أوقدوا نار ثورة في طنجة ، وهذا يدل على أن البلاد لم تكن مرتبطة ارتباطاً بالأمويين ولا بالعباسيين وذلك لبعد المنطقة أولاً ، ولعدم اهتمام المغرب بخلافات المشرق التي شغلت حكامه ومنعتهم من النظر في القضايا التي لا تهمهم

(١) اودغشت : وتعتبر من أهم مراكز الثقافة الإسلامية في شمال غرب إفريقية ، وهي مدينة قديمة ، لم يعد لها الآن وجود ، وتقع بين خطي عرض ١٨ و ١٩ شمال خط الاستواء جنوب غراب مدينة تجكة، أي في مورينانيا ، كانت محطة تجارية ، ثم حاضرة قبيلة صنهاجة ، وبدأت تضمحل في القرن الثالث عشر ميلادي ، ويحتمل أن تكون بين كفّ وتيغيت .

مباشرة أو التي لا تسبب لهم ازعاج في أوضاعهم ثانياً .
ولكن الخلافات القبلية لم تنعدم وميل البربر إلى الانفراد بالحكم كل هذا جعل فترة الحكم العباسي الأولى غامضة في بلاد المغرب ، وساعد على قيام دولة الأدارسة .

بدأ الإسلام ينتشر في بلاد السنغال ، ويصل إلى سكان تلك الجهات بإسلام بعض أفراد القبائل التي كانت تصل في انتقالها إلى تلك المناطق وخاصة صنهاجة وبطونها ، حيث بدأ الإسلام ينتشر فيها منذ أيام عقبة بن نافع الفهري ، وازداد اقبال الناس عليه مع مرور الأيام .

كما انتشر الإسلام بواسطة الدول التي امتد نفوذها إلى بلاد السنغال ، أو عملت على نشره عن طريق الدعاة ، ومن هذه الدول :

١ — **الأدارسة** : في عام ١٧٢ هـ — ٧٨٠ م وصل إلى المغرب ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي نجا من معركة فخ[١] ، واتجه إلى المغرب

(١) معركة فخ : جرت عام ١٦٩ هـ في أيام الهادي ، وكان قائد الثورة على الهادي الحسين بن علي بن الحسن ، واستطاع أن ينجو منها رجلان لهما تاريخ جليل وهما ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة هذه وأخوه يحيى الذي ذهب إلى بلاد الديلم وأسس بها دولة أيضاً وهما أخوا محمد ذي النفس الزكية .

فوصلها في أيام الرشيد ، فالتف حوله البربر من صنهاجة ولمتونة ، والملثمون من اقليم شنقيط ، وبايعوه ، فأقام دولة الأدارسة التي دانت لها المغرب بأكملها ، واستطاع الأدارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم إلى حركة جهاد مقدس بقصد اتمام نشر الإسلام في البلاد ومحاربة العقائد الشاذة ، وقد جاوز نفوذ الأدارسة منطقة المغرب الأقصى إلى الصحراء الكبرى التي تفصل المغرب عن اقليم السودان ، وانضوت ديار الملثمين تحت ظل الأدارسة ، وأصبحت جزءاً من أملاكهم لذلك زاد تحول صنهاجة إلى الإسلام ، وانتشر بين الملثمين في القرن الثالث الهجري بشكل واسع ، وكان إسلامهم ذا أثر بالغ في تاريخ المغرب والسودان ، فقد تمخض عن قيام تحالف قوي ضم قبائل الملثمين جميعها بزعامة لمتونة ، وأخذت هذه القبائل تعد العدة لتوسع جديد ، ولم تكن الظروف تساعدها للإغارة على المغرب بسبب قوة الأدارسة وحلفائهم من مصمودة والزناتيين ، فلم يبق أمامهم إلا الاتجاه صوب الجنوب ، ومما ساعد على هذا التوسع أنه كان بقصد الجهاد ابتغاء مرضاة الله ونشر الإسلام بين القبائل الزنجية الضاربة في الجنوب ، وكانت القبائل الملثمة حديثة العهد بالإسلام ، وقد أرادت أن تسهم في حركة الجهاد ، كما ساعد هذه القبائل

في التوجه جنوباً أن مملكة غانة[١] الزنجية قد أصابها في ذلك الوقت الضعف والتفرق ، فاستطاعت هذه القبائل التقدم نحو الجنوب ونشر الإسلام في غرب افريقية ومن ضمنها بلاد السنغال .

ب – المرابطون : بعد ضعف دولة الأدارسة وانقسامها خضعت المغرب للأمويين في الأندلس ، ثم خضع بعض أقسامها للفاطميين ، وأخيراً عاد الأمويون لحكمها ، وبشكل عام فقد ظلت البلاد المغربية مدة قرنين من الزمن غارقة في حروب وخلافات انتهت بقيام دولة المرابطين .

في مستهل القرن الحادي عشر ميلادي آلت زعامة صنهاجة إلى يحيى بن ابراهيم الجدالي[٢] الذي هاله ما وصل إليه قومه من بعدٍ عن الدين ، فذهب حاجاً لبيت الله وأثناء عودته أخذ يبحث في المراكز الدينية في شمال افريقية عن معلم تقي متفقه يصحبه إلى أبناء قبيلته الجهلة المظلمين داعياً إلى الإسلام ، فوجد في أول الأمر أن من العسير أن يحصل على

(١) غانة : مملكة قامت في غرب افريقية ، وامتد نفوذها كثيراً ، وقد قضى عليها المرابطون ، وكانت حاضرتها مدينة غانة وتقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر جنوب غرب مدينة تمبكتو ، ولكن اليوم أصبحت كلمة غانا تطلق على دولة ساحل الذهب على المحيط الأطلسي كاحياء لدولة غانا الوثنية .

(٢) الجدالي : نسبة إلى قبيلة جدالة .

فوصلها في أيام الرشيد ، فالتف حوله البربر من صنهاجة ولمتونة ، والملثمون من اقليم شنقيط ، وبايعوه ، فأقام دولة الأدارسة التي دانت لها المغرب بأكملها ، واستطاع الأدارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم إلى حركة جهاد مقدس بقصد اتمام نشر الإسلام في البلاد ومحاربة العقائد الشاذة ، وقد جاوز نفوذ الأدارسة منطقة المغرب الأقصى إلى الصحراء الكبرى التي تفصل المغرب عن اقليم السودان ، وانضوت ديار الملثمين تحت ظل الأدارسة ، وأصبحت جزءاً من أملاكهم لذلك زاد تحول صنهاجة إلى الإسلام ، وانتشر بين الملثمين في القرن الثالث الهجري بشكل واسع ، وكان إسلامهم ذا أثر بالغ في تاريخ المغرب والسودان ، فقد تمخض عن قيام تحالف قوي ضم قبائل الملثمين جميعها بزعامة لمتونة ، وأخذت هذه القبائل تعد العدة لتوسع جديد ، ولم تكن الظروف تساعدها للإغارة على المغرب بسبب قوة الأدارسة وحلفائهم من مصمودة والزناتيين ، فلم يبق أمامهم إلا الاتجاه صوب الجنوب ، ومما ساعد على هذا التوسع أنه كان بقصد الجهاد ابتغاء مرضاة الله ونشر الإسلام بين القبائل الزنجية الضاربة في الجنوب ، وكانت القبائل الملثمة حديثة العهد بالإسلام ، وقد أرادت أن تسهم في حركة الجهاد ، كما ساعد هذه القبائل

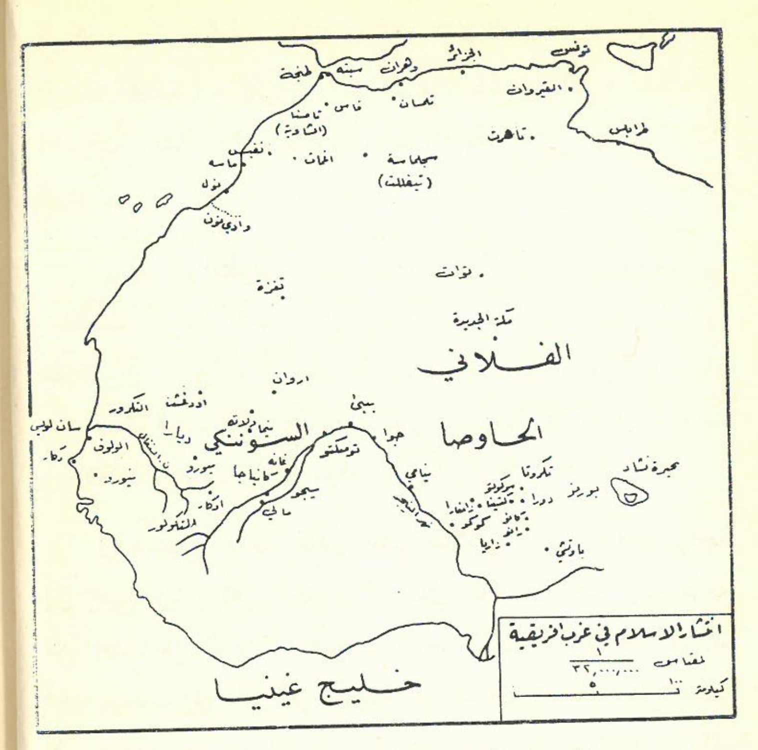
في التوجه جنوباً أن مملكة غانة[١] الزنجية قد أصابها في ذلك الوقت الضعف والتفرق ، فاستطاعت هذه القبائل التقدم نحو الجنوب ونشر الإسلام في غرب افريقية ومن ضمنها بلاد السنغال .

ب ـ المرابطون : بعد ضعف دولة الأدارسة وانقسامها خضعت المغرب للأمويين في الأندلس ، ثم خضع بعض أقسامها للفاطميين ، وأخيراً عاد الأمويون لحكمها ، وبشكل عام فقد ظلت البلاد المغربية مدة قرنين من الزمن غارقة في حروب وخلافات انتهت بقيام دولة المرابطين .

في مستهل القرن الحادي عشر ميلادي آلت زعامة صنهاجة إلى يحيى بن ابراهيم الجدالي[٢] الذي هاله ما وصل إليه قومه من بعدٍ عن الدين ، فذهب حاجاً لبيت الله وأثناء عودته أخذ يبحث في المراكز الدينية في شمال افريقية عن معلم تقي متفقه يصحبه إلى أبناء قبيلته الجهلة المظلمين داعياً إلى الإسلام ، فوجد في أول الأمر أن من العسير أن يحصل على

(١) غانة : مملكة قامت في غرب افريقية ، وامتد نفوذها كثيراً ، وقد قضى عليها المرابطون ، وكانت حاضرتها مدينة غانة وتقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر جنوب غرب مدينة تمبكتو ، ولكن اليوم أصبحت كلمة غانا تطلق على دولة ساحل الذهب على المحيط الأطلسي كاحياء لدولة غانا الوثنية .

(٢) الجدالي : نسبة إلى قبيلة جدالة .



رجل يرضى بترك اعتكافه الديني ، ويستهين بمخاطر الصحراء ، ولكنه أخيراً وجده في شخص عبد الله بن ياسين الذي يليق بهذا العمل ، إذ كان فيه من الإقدام ما يكفي للقيام بمثل هذه الرسالة الشاقة ، وكان تقياً زاهداً في حياته ، متفقهاً في الدين والشريعة وغيرها من العلوم . وقد وجد عبد الله بن ياسين أن كثيراً من الذين أقروا بالإسلام قد أهملوا حتى

شعائرهم الدينية اهمالاً شديداً ، وأنهم قد استسلموا لكثير من أنواع العادات المرذولة ، فكرس نفسه ، متحمساً لهدايتهم إلى الصراط المستقيم ، وتفقيههم في أمور الدين ، ولكن العنف الذي زجرهم به عن رذائلهم ، وحاول بواسطته أن يصلح سلوكهم ، حول عواطفهم عنه ، وهذا ما دفعه إلى أن يهجر هذا الشعب العنيد ، ويقصر جهوده على هداية الزنوج في السودان ، ولما استحث على ألا يترك عملاً كان قد زاوله من قبل وهاجر في سبيله ، لجأ مع عدد من تلاميذه الذين التفوا حوله ، وصبروا على عنفه إلى جزيرة في نهر السنغال ، حيث بنوا لهم رباطاً ، وابتدأوا يمارسون فيه عبادتهم ، ويتلقون تعاليم مرشدهم . أما أولئك البربر الذين شعروا بندمهم على ما فرطوا في حق معلمهم حيث أخرجوه بعملهم من بينهم فقد أظهروا التوبة ، وبدأوا يتوافدون على الجزيرة يطلبون العفو من إمامهم ويتلقون منه تعاليم الإسلام ، وهكذا بدأت تنمو هذه الجماعة ، وكان أكثرهم من لمتونة[١] ، حتى إذا أخذت في النماء ووصل عددها إلى ألف رجل – وبذا تكونت القاعدة الصلبة لهذه الجماعة المؤمنة – رأى عبد الله بن ياسين أن الوقت قد حان للخروج إلى محيط أوسع للعمل وميدان أرحب للدعوة ، فطلب من أتباعه أن يعبروا عن شكرهم

---

(١) لمتونة : فرع من صنهاجة .

لله على هذا التنزيل الذي أنعم الله به عليهم ، وذلك بأن ينقلوا العلم إلى غيرهم من الناس ، فقال لهم : « اخرجوا على بركة الله تعالى ، وأنذروا قومكم ، وخوفوهم عقاب الله ، وأبلغوهم محبته ، فإن تابوا ، وأنابوا ، ورجعوا إلى الحق ، وأقلعوا عما هم عليه ، فخلوا سبيلهم ، وإن أبوا ذلك ، وتمادوا في غيهم ، ولجوا في طغيانهم ، استعنا الله عليهم ، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا » . ومن ثم ذهب كل رجل إلى قبيلته وعشيرته ، فوعظهم أن يتوبوا ويصدقوا ، ولكنهم لم ينجحوا في هذا السبيل ، ولم يجد عبد الله بن ياسين في رؤساء البربر ما يسره عندئذ قاد أتباعه عام ٤٣٤ هـ — ١٠٤٢ م الذين سماهم بالمرابطين[١] ، وهاجم القبائل المجاورة وأرغمهم على الإسلام . وقد نجح في غاراته الحربية فكانت حجته أقوى

---

(١) المرابطون : يقال أنه مأخوذ من القرآن الكريم « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... » والرباط هو المكان الذي ينزل فيه المسلمون ينازلون عدوهم ، ويراقبونه ، ويبعثون منه البعوث ، وبه يتجمعون .

ويقال انه مشتق من الرباط الذي اتخذه عبد الله بن ياسين في جزيرة السنغال كخلوة ، وكان على تخوم دار الحرب والقصد منه مرضاة الله ، والاستعداد للجهاد في سبيله .

ويقال ان هذا الاسم اطلقه عبد الله بن ياسين على أتباعه عندما أبدوا كثيراً من رباطة الجأش في إحدى المواقع الحربية الأولى .

من جميع تعاليمه التي قدمها من قبل . وهكذا انتشر الإسلام في حوض السنغال .

واستشهد يحيى بن ابراهيم الجدالي في المعركة التي فتحت فيها مدينة اودغشت ، فخلفه في زعامة المرابطين أبو بكر بن عمر زعيم لمتونة ، ولم يمض وقت طويل حتى استشهد عالم المرابطين عبد الله بن ياسين في حرب شنت ضد قبيلة برغواطة. ولكن إن مات هذا الداعية فإن دعوته لم تمت ، وإنما استمرت بفضل صدقها وحماس اتباعها ، فما ماتت دعوة من ورائها مخلصون ، ولا انتهى عمل من خلفه مريدون تحركهم العقيدة التي تنبع من القلب ، فإن ينابيع القلب لا تنضب إن جفت بقية الينابيع ، وهكذا بقي أبو بكر بن عمر وحده في الميدان ، فاستعان بابن عمه يوسف بن تاشفين الذي أسس مدينة مراكش ولكن لم يلبث أن وقع الخلاف بين الرجلين ، فانصرف يوسف بن تاشفين نحو الشمال ، وجاز بحر الزقاق إلى الأندلس يساعد المسلمين على أعدائهم الصليبيين ، ويقف في وجه الطغيان، بينما انكفأ أبو بكر نحو الجنوب يعمل على نشر الإسلام بين قبائل الزنوج الوثنية ، وقد سقطت مملكة غانا الوثنية تحت ضربات المرابطين المتكررة .

وكانت هذه الفترة حافلة بدخول الناس في دين الله أفواجاً وخاصة منطقة السنغال حيث تحولت أسرة الفولاني إليه عام

٤٦٩ هـ — ١٠٧٦ م . هذا نتيجة ما فطر عليه المرابطون من نزعة دينية خالصة وحب للجهاد ، ويظهر ذلك مما رواه عبد الواحد المراكشي [١] عن حضور المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مستغيثاً به في حربه مع الفونس السادس ملك قشتالة ، فأجاب يوسف المعتمد إلى ما دعاه إليه قائلاً : « أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ، ولا يتولى هذا الأمر أحد إلا أنا بنفسي » . وفعلاً نفذ ما وعد به ، ورد كيد الصليبيين في معركة الزلاقة ٤٧٩ هـ — ١٠٨٦ م .

د — الموحدون : تفككت قبائل صنهاجة وهي لمتونة وجدالة ومسطاطة ... عن بعضها بعد موت أبي بكر بن عمر ، مما أضعف المرابطين ، فسقطت دولتهم ، وقامت دولة الموحدين على انقاضها عام ٥٢٥ هـ — ١١٣٠ م . ولعب الموحدون نفس الدور الذي لعبه المرابطون ، وكانت دعوتهم الدينية صافية خالصة . وقد قام محمد بن عبد الله بن تومرت يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فكان أن دخل الناس في الإسلام جماعات ، وكذلك كان للموحدين أثر محمود في الجهاد في سبيل الله سواء في المغرب أو في الأندلس .

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٣٠-١٣٣ .

د — السعديون : ضعف أمر المغرب بعد الموحدين ، وحكم «بنو مرين» البلاد ، وهم من زناتة ، ولكن أمرهم لم يلبث أن ضعف ، وخرج المسلمون من الأندلس ، وتبعهم الاسبان إلى المغرب يطاردونهم ، وقامت أسر عديدة تسعى للحكم ، وتطمع بالسيطرة ، ومنها «بنو وطاس» الذين استعانوا بالأجانب البرتغاليين ، وكان أن قام رد فعل ، وتوصل السعديون إلى الحكم ، فانتصروا على البرتغاليين والأسبان في معركة « وادي المخازن » عام ٩٨٤ هـ — ١٥٧٦م ، ثم التفتوا نحو غرب افريقية يوطدون حكمهم ويعملون على نشر الإسلام ، فكان أن توسع الإسلام في بلاد السنغال . وأخيراً احتل السعديون مدينة تومبوكتو عام ١٠٠٠ هـ — ١٥٩١ م .

هذا بالنسبة إلى الدول التي قامت في بلاد المغرب ، ولكن هناك ممالك قامت في بلاد الزنوج ، وامتد نفوذها إلى منطقة السنغال ، وكانت الأسر الحاكمة فيها تعتنق الإسلام ، وهذا ما ساعد على انتشار العقيدة ، حيث إن الفطرة البشرية تجعل المحكوم يقلد الحاكم ، والضعيف يسير على نهج القوي ، والبدائي يتبع أهل الحضارة والتمدين ، ففي القرن الحادي عشر ميلادي حوالي ١٠٥٠ م اعتنق ملك وأعيان مملكة تكرور الإسلام ، وهي التي كان مركزها منطقة السنغال ، وخلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، كانت أرض السنغال

جزءاً من امبراطورية مالي الإسلامية .

وكثيراً ما ساعد على انتشار الإسلام وجود الحياة القبلية ، فاذا ما اعتنق أحد الأمراء الإسلام ، أو إذا ما وفق أحد الدعاة أو التجار في جذبه إليه ، أو إذا ما تبنته إحدى الممالك في صراعها مع خصومها فإن أفراد القبيلة بكاملهم يدخلون في الدين الإسلامي ويدينون بدين الأمير ، وكانت السنغال مسرحاً للصراع بين الممالك والإمارات ، ومجالاً لانتقال القبائل ، وموطناً للبداوة التي ليست هي إلا حياة قبلية . وقد اعتنق شعب «التوكلور » الإسلام فقام يبشر بدينه بين قبائل «الفولاني» .

ومما ساعد على انتشار الدين الإسلامي حضارة المسلمين ، فإن ما كان يلقاه السود الوثنيون من ترحيب المسلمين بدخولهم في الإسلام ، هذا الذي كان يرغبهم في الانضمام إلى مجتمع ديني تتطلب حضارته التي تفوق حضارتهم أن يؤثروا التخلي عن كثير من عاداتهم وطباعهم البربرية ، ومما يساعد في نفس الوقت مساعدة كبيرة جداً على تفسير نجاح هذا الدين أن مجرد الدخول في الإسلام يدل ضمناً على الترقي في الحضارة وأنه خطوة جد متميزة في تقدم القبيلة الزنجية عقلياً ومادياً ، وكانت القوة المحشودة جنباً إلى جنب مع العقيدة الإسلامية، تبلغ من القوة والبأس إلى حد أن البربرية والجهل والخرافة الدينية ، تلك الأمور التي كان يجد الدين الإسلامي في القضاء

عليها ، لا تجد إلا فرصة يسيرة في إطالة المقاومة ، كما أن المسلمين يصبحون كتلة واحدة لا تفرقهم القبائل ولا يميزهم اللون ، وهذه الكتلة يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في القتال الذي هو أهم مفاخر الحياة الصحراوية ومن متطلباتها وأوضح ما تقدمه حضارة إفريقية الإسلامية إلى الزنجي الذي تحول إلى الإسلام وضوحاً يبعث إلى الاعجاب العبارات الآتية : « إن أقبح الرذائل وهي أكل لحوم البشر ، وتقديم الإنسان قرباناً ، ووأد الأطفال أحياء — تلك الرذائل التي نجد ما يبرر الاعتقاد بأنها كانت في وقت ما منتشرة في كل إفريقية ، ولا تزال في بقاع كثيرة منها ،حتى تلك الجهات التي لا تبعد كثيراً عن ساحل الذهب — قد اختفت فجأة وإلى الأبد ، والأهالي الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة أو اشباه عراة بدأوا يرتدون الملابس ، بل أخذوا يتأنقون في ملابسهم ، والأهالي الذين لم يغتسلوا قط من قبل ، بدأوا يغتسلون ، بل إنهم يكثرون من الاغتسال ، لأن الشريعة الإسلامية تأمر بالطهارة ... ويميل النظام القبلي إلى فسح المجال لأساس أوسع نطاقاً ، وبعبارة أخرى إلى اندماج القبائل بعضها في بعض لتصير أمماً ،وبازدياد النشاط والمعرفة تصير الأمم امبراطوريات[1]

(١) النظام الإسلامي يختلف تمام الاختلاف عن الحكم الامبراطوري . يوجد في الحكم الامبراطوري شعب يسيطر على شعوب أخرى، وهذا =

ونستطيع أن نورد كثيراً من أمثال هذه الحالات من تاريخ السودان والبلاد المتاخمة له في خلال الخمسين والمائة سنة الأخيرة . ومتى أثير الروح الحربي على هذا النحو ، تكون الحرب أحسن تنظيماً ، وهم لا يثيرون القتال دون سبب من الأسباب . وقد قل السلب ، كما زاد تأمين الناس على أملاكهم وأرواحهم . وقد أنشئت مدارس أولية لو اقتصرت على تلاوة القرآن لكانت ذات قيمة في نفسها ، وقد تكون خطوة في سبيل ما هو أعظم منها بكثير . وأصبح المسجد الجيد البناء النظيف ، بما فيه من أذان للصلاة خمس مرات في اليوم ، وقبلة تتجه إلى مكة ، وإمام وصلاة جمعة ، مركزاً للقرية بدلاً من دار عبادة الأوثان ذات المنظر البشع .

وقد قهرت عبادة الله الواحد القهار ، الكائن في كل مكان ، العليم ، الرحيم ، كل ما لقن الأهالي عبادته من قبل ، قهراً لا حد له . وظهرت صناعة وتجارة ، لا كالتجارة

= لا يوجد في الإسلام بل يحاربه أشد محاربة. في الحكم الامبراطوري شعب متميز يعيش على حساب الشعوب الأخرى التي يسلبها خيراتها وينهب ثرواتها ولا يمكن أن تأتي موارد من بلاده إليها ، أما النظام الإسلامي ، فتؤخذ الثروات إلى المكان الذي يكون أهله بحاجة إليها دون تمييز . في الحكم الامبراطوري الامبراطور فوق الشعب ، وفي الإسلام « الناس سواسية كأسنان المشط » ، «إني قد وليت عليكم ولست بخيركم» ، الامبراطوري كلمة أجنبية وليس في العربية ما يرادفها .

الصامتة التي تقوم الاشارات فيها مقام اللغة في التفاهم ، ولا كالمبادلة البدائية في الخامات ، تلك المبادلة التي تعرف من أيام هيرودوت أنها وجدت في إفريقية منذ أقدم العصور ، ولا كالمقايضة بالودع أو البارود أو التبغ أو الخمر ، تلك المقايضة التي لا تزال تستخدم على طول الساحل وسيلة أساسية في التبادل[١] ، ولكنها صناعة تنطوي على مهارة فائقة وتجارة منظمة نظاماً محكماً . وظهرت في المدن الكبيرة في أرض الزنوج بتأثير هذه الصناعة والتجارة وتأثير الحكومات الأكثر استقراراً التي جاء بها الإسلام . وهي مدن ، نجد أن الرحالة الأوربيين حين وصفوها أول الأمر لم يستطيعوا إلا أن يهملوا مجرد وجودها[٢] ... أما فيما يتعلق بالفرد ، فمن المسلم به من كل الوجوه أن الإسلام يمد السود الذين تحولوا إليه بالنشاط والعزة ، والاعتماد على النفس واحترام الذات ، وهذه كلها صفات يندر جداً أن نجدها في مواطنيهم الوثنيين أو المسيحيين »[٣]

(١) حيث المستعمرون على السواحل ، والذين لم يعملوا شيئاً في سبيل تقدم السكان في مستعمراتهم ، على حين أن الداخل قد تقدم بمجرد أن دخل الأهالي في الإسلام .

(٢) بسبب الحقد الدفين يجانبون الحقائق حتى الأشياء المادية الملموسة من مدن وحضارة .

(٣) المحمدية في إفريقية تأليف ر. بروت سميث . نقلا عن كتاب انتشار الإسلام في القارة الإفريقية للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٨٠ .

وإن طبيعة الإسلام قد عملت على سهولة قبوله بين أعضاء الأسرة الافريقية ديناً واعتناقه عقيدة . فإن المبشرين والمستعمرين ينظرون إلى الأسود الزنجي نظرة خاصة فيها الكثير من الاحتقار والازدراء ، ويكفي أن نعلم الأعداد الكبيرة التي سيقت من افريقية إلى اميركا في مطلع عصر الاستعمار كالبهائم ، والمعاملة الغريبة التي لا يزال يلقاها أحفاد أولئك الزنوج ، والتمييز العنصري القائم حتى القرن العشرين في الولايات المتحدة الاميركية التي تعتبر نفسها في طليعة الأمم الراقية[١]، وما تسير عليه بعض الدول الافريقية ، حتى نعرف نظرة المستعمرين والمبشرين إلى سكان افريقية الأصليين ، هذه النظرة التي تختلف تمام الاختلاف عما يلاقيه الافريقيون من المسلمين ، فإن لون الزنجي وجنسه في الإسلام لم يحملا بأية حال اخوانه الجدد في الدين على أن يتعصبوا عليه ، ولا شك ان نجاح الإسلام قد تقدم في افريقية الزنجية تقدماً جوهرياً بسبب عدم أي احساس باحتقار الأسود ، وفي الحق يظهر أن الإسلام لم يعامل الأسود قط على أنه من طبيعة منحطة ، وهذا يفسر نجاح دعوة المسلمين بين الزنوج أكثر من دعوة

(١) أي رقي لا يحمل بين جوانحه المعاني الإنسانية يعتبر تأخراً وجموداً وحضارته أولى بالزوال كما زالت الأمم الغابرة التي لم تراع المعاني الإنسانية في حضارتها كاليونان والرومان القدماء .

الارساليات التبشيرية النصرانية إذ غالباً مايحس الأسود المتنصر كل الاحساس بأن أبناء دينه من الأوربيين ينتمون إلى لون من الحضارة لا يلائم طبائعه في الحياة ، على حين يشعر المسلم في مجتمعه بأنه أكثر تعلقاً به واطمئناناً إليه . والمسلمون يتزاوجون بعضهم من بعض مهما كانت أجناسهم وألوانهم ، وهذا ما يكون أسرة واحدة ، ويجعل الارتباط أشد قوة ، على حين لم يفعل هذا الأوربيون بل يعتبرون ذلك إهانة ، فهم من طينة خاصة . وعلى كلٍ فطبيعة الإسلام وما فيه من تشريعات ونظم أخلاقية واجتماعية تتلاءم وفطرة البشر جميعاً على اختلاف أشكالهم وقومياتهم قد ساعد على قبول الزنوج لفكرة الدين الإسلامي على حين أن هذا لا يوجد في بقية القوانين الوضعية والأديان التي عملت فيها يد التحريف والعادات الوثنية .

ومما عمل على نشر الإسلام الدعاة الذين لا يخلو منهم وقت ، وإذا لم يكن هناك جمعيات خاصة للدعوة ، ولا مسؤولون مدربون لهذا الغرض ، ولا هيئات تشرف على الدعوة ، كما هو الحال في الارساليات التبشيرية التي تدعمها أوربا والاستعمار والتي لها غايات وأغراض من وراء ذلك ، فإن الإسلام يختلف تمام الاختلاف حيث أن الدعوة إلى الإسلام واجبة على كل فرد ، بل يحصل منها المسلم على

أفضل الثواب الذي يعمل في حياته الدنيا جاهداً له وهذا هو الهدف ، وهذه هي الغاية وكلها لله ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب « فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم[1] » ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً[2] » . وهناك شعور بالمسؤولية التي ألقيت على كواهل المؤمنين من الأفراد ، بقوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون[3] » ولما لم يكن هناك واسطة بين المسلم وربه كان الداعية أكثر تشدداً واهتماماً في أداء واجباته الدينية وأشد تحملاً للمتاعب في سبيل الدعوة ، ولم يكن بحاجة إلى الخوف من مراقبة الكنيسة أو الارساليات التبشيرية لذلك كان يعمل بنشاط ولنفسه ويعلم أنه إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران ، وإنما عليه أن يكون حسن الكلام وحكيماً في دعوته « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة[4] » . لذلك نشأت جماعة

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٤) سورة النحل الآية ١٢٥ .

من الدعاة في الصدر الأول من الإسلام ، كما كان في كل عصر جماعة كرسوا وقتهم ونواحي نشاطهم كله في مهمة الدعوة إلى الله ، والانتقال من مكان لآخر يجدون فيه المناخ الصالح والجو الملائم للدعوة ، وكثيراً ما كانوا يسيرون مع الفتوح يتممون ما لم تستطع الفتوح عمله ، حتى الأسير المسلم يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة الذين أسروه أو اخوانه في الأسر إلى دينه ، إضافة إلى أن بعض الرجال الذين يحول بينهم وبين المنصب حائل فيشغلون أنفسهم عن ذلك بالعلم والدعوة الإسلامية وخاصة أنهم على جانب لا بأس به من المعرفة والامكانية . وقد كان لهؤلاء دور كبير في دخول الإسلام إلى الجماعات المنتشرة في بلاد السنغال . وكان سلوك هؤلاء الدعاة يجلب الناس جذباً إلى اعتناق دينهم ، ولنأخذ أمثلة من عمل هؤلاء الدعاة حديثاً . كان أحد المبشرين واسمه نواكوي Nwgui يدعو للدين المسيحي وإذ به ذات يوم يعتنق الإسلام بعد أن سافر إلى السنغال والتقى بأحد الدعاة هناك ، وإذا بستة آلاف من البلدة التي يعيش فيها يعتنقون الإسلام ويهدمون الكنيسة التي كانوا قد أنشأوها ويشعلون فيها النار ، ويعتبر نواكوي اليوم أحد دعاة الإسلام في شرق نيجيريا . ومن رغبة الدعاة في الأجر نذكر : أن البلجيكيين قد حكموا بالاعدام على أحد الدعاة ، فقضى ساعاته الأخيرة ، وهو

يحاول أن يدخل في الإسلام المبشر المسيحي الذي كان قد أرسل إليه ليزجي إليه التعزيات الدينية[١] .

وهناك القادة الذين يريدون أن يواجهوا عدواً ، فإنهم يشحنون النفوس قبل المعركة بالعزيمة والقوة المعنوية التي لا تقف أمامها قوة مادية وذلك حتى يحرزوا النصر على خصومهم الذين لا يملكون أمثال هذه القوة ، وليس من معنوية أسمى ولا أقوى من معنوية العقيدة الإسلامية ، فالمسلم يعتقد أنه في الحرب ينال احدى الحسنيين إما النصر ، وإما الشهادة في سبيل الله فينال جنة عرضها السموات والأرض خالداً فيها أبداً .

كما أن التجار ينتقلون في تلك الربوع ، ويحملون معهم عنوان الإسلام ، وهو المعاملة الطيبة والصدق والأمانةوالاخلاص فكانوا المثل الرائع حيثما حلوا ، فأقبل الناس عليهم يتلمسون مصدر هذه الصفات التي تسمو بأصحابها فوق المستوى البشري فكان التاجر يتحمل أخطار سفر طويل ، ويطرح جانباً كل المشاكل الدنيوية لغرض واحد ، هو أن يظفر بقوم يدخلهم بدعوته ، وكثيراً ما كان يظفر ، وهذا ما جعل الإسلام ينتشر حيثما حل تجار مسلمون .

(١) الدعوة إلى الإسلام سير توماس.و.ارنولد ترجمة حسن ابراهيم وزملائه الطبعة الثانية ١٩٥٧ ص ٤٥٤ .

وكثيراً ما كانت بعض القبائل تهجر منازلها لسبب من الأسباب فتنتقل حاملة معها الإسلام ، أو تضغط على قبيلة أخرى فتجبرها على النزوح لتحل محلها ، فتحمل القبيلةالنازحة معها العقيدة التي تدين بها . هذه طبيعة الحياة القبلية التي تقوم على تخوم الصحراء أو في وسطها ، وقد حدث هذا عندما ضغطت قبائل بني هلال وبني سليم على بعض قبائل الصحراء ، وأجبرتها على ترك مواطنها والانتقال نحو الجنوب في غرب افريقية ، فوصل بعضها إلى أطراف بلاد السنغال . انتقلت قبائل بني هلال وبني سليم من الجزيرة العربية إلى دلتا مصر بسبب ما أصاب الجزيرة يومذاك من القحط والبلاء ، ولكن الخليفة الفاطمي العزيز بالله أجبرهم على الانكفاء عن الدلتا إلى صعيد مصر ، وأصبحوا هناك خطراً على الدولة أيضاً ، ولما كانت خلافة المستنصر رغب في التخلص منهم ، فوجههم إلى القيروان وذلك عام ٤٤٠ هـ — ١٠٥٢ م حيث التمسوا لأنفسهم مراكز جديدة في شمال إفريقية ، وكان القصد من وراء ذلك التخلص منهم أولاً ، والاقتصاص من عامله على المغرب وهو المعز بن باديس الزيري ، الذي خلع طاعته ، وحارب شيعته في البلاد التي تقع تحت حوزته ، وأعلن الطاعة لبني العباس ، وفكر المستنصر بأن الهلاليين إن انتصروا فقد اصطنعهم ، وعادت المغرب لحكمه ، وإن هلكوا تخلص

منهم ، وعاثوا فساداً في أرض عدوه ، وهكذا فقد ضغطت
هذه القبائل على غيرها ، وحلت محلها ، بينما تركت الأولى
مكانها متجهة نحو بلاد شنقيط وبلاد السنغال .

وعندما انتقل اللاجئون المسلمون إلى المغرب من الأندلس
عندما سقطت بأيدي الصليبيين عام ٨٩٨ هـ — ١٤٩٢ م ،
وصل بعضهم إلى بلاد السنغال إما داعياً وإما ساعياً وراء
الرزق .

وكذا عملت الطرق الصوفية عملها في نشر الإسلام ،
فقد وصلت أول هذه الطرق إلى افريقية في القرن الخامس
عشر ، ولكنها نشطت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ،
في الوقت الذي كان الاستعمار يحاول أن يثبت أقدامه في
إفريقية ، فحملت لواء الجهاد الذي كان عنصراً رئيسياً من
تعاليم رجالها ، ولهذا فقد لعبت هذه الطرق دوراً كبيراً في
مقارعة الاستعمار ، وعمل رجالها مخلصين في نشر الإسلام ،
حتى ان بعضهم كان له أثر كبير في اسلام مناطق واسعة
خارجة عن نطاق دائرته ، فهو ينتقل بين منطقة وأخرى دائباً
لنشر الإسلام . ولا أقصد بالطرق تلك التي تعتبر شيخها
معصوماً ، ويعلم ما لا يعلم غيره ، وينسب له مريدوه من
الأعمال لم يسبق للأنبياء أن قاموا بها ، فالقرآن الكريم يذكر
على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « قل : إنما أنا

بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو
لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً(١) » .
ولا أقصد بالطرق تلك التي لها أتباع لا يؤدون عبادة إلا
عندما يتمثلون شيخهم أمامهم فهذه من بقايا الوثنية ومن
تأثيرات الفرس واليهود على الدين لتهديمه ونقل صفائه إلى
مجموعة من الخرافات والأساطير التي هي أقرب إلى الوثنية
وعبادة الرجال . ولا أقصد بالطرق تلك التي اسقطت العبادات
من حسابها على اعتبار أن شيخها يشفع لها أو يؤدي الواجبات
عنها ، ولا أقصد تلك التي أماتت الجهاد واكتفت بالخلوات
أو اعتكفت في صوامعها تكتفي بالورد والذكر . وليست
الجماعات التي أوجدها الاستعمار كالأحمدية والقاديانية
والبهائية إلا من هذا النوع ، ولا أقصدها كلها فهذه ليست
من الإسلام وبالأحرى فليس من الممكن أن تعمل على نشره
وإن فعلت فمشوهاً مثلها ، وإنما أقصد تلك الطرق التي لعبت
دوراً كبيراً في تاريخ غرب افريقية كلها كالقادرية والتيجانية.

إن نهر السنغال هو أول نهر دائم الجريان يقع في جنوب
الصحراء ، وهذه المياه التي يوفرها للمنطقة تستدعي قيام
حياة زراعية في ذلك الحوض الخصيب الذي تتكون تربته
من الرسوبات التي حملها النهر معه أثناء تدفقه من حوضه

(١) سورة الكهف الآية ١١٠ .

الأعلى ، فيشكل على طول مجراه واحة في تلك المنطقة الجرداء
وهذا يستدعي قيام حياة من الاستقرار ، تتطلب بدورها قيام
دولة تحافظ على النظام ، وتحمي السكان من غارات البداة
والقبائل التي تنتقل في الصحراء وعلى تخومها ، هذه الغارات
التي ما تنفك تقوم بين الحضر والبدو ، وهذه القبائل التي
لا تنقطع غزواتها تحدث على المناطق المجاورة لها ، تسلب
ما وسعها أن تسلب ، ثم تقفل راجعة إلى قلب صحرائها ،
تضيع في أرجاء البيداء الواسعة ، وتغيب خلف الكثبان .
وكانت تعرف هذه الدول تارة باسم الشعب الذي يقطن المنطقة
فيقال لها مملكة تكرور وتارة باسم المنطقة فتسمى مملكة فوتا
(نسبة إلى جبال فوتا جالون) . وكان يتخطى نفوذها أحياناً
حوض السنغال فيصل إلى موريتانيا ويشملها ، وأحياناً أخرى
ينحصر في حوض السنغال لا يتعداه .

وفي أيام هذه الممالك بدأ الإسلام يتسرب إلى بلاد السنغال
ينتشر بين شعوبها تارة عن طريق الفاتحين وأخرى عن طريق
الدعاة ، مرة عن طريق اسلام الأمراء والقبائل وثانية بدعوة
من الطرق الصوفية . ولم تكن الحكومات لتهتم بهذا كله ،
وإنما الذي يشغلها هو بقاء نفوذها وسيطرة رجالها . وكانت
ادارة هذه الممالك تتوقف على بقاء القوة الحربية فيها ، فاذا
ضعفت سقطت الأسرة الحاكمة ، وحلت محلها قوة حربية

جديدة تتمثل في أسرة جديدة . ولم تحاول حكومة من هذه
الحكومات أن توحد بين الشعوب العديدة التي تخضع لها ،
وإنما تركتها وشأنها ، تحتفظ بلغاتها وعاداتها الخاصة ، ولم
يكن يجمع بينها إلا خضوعها لسيد واحد ، وأحياناً إذا ما
وجد الحاكم أن أكثرية شعبه قد اعتنقت الإسلام اعتنقه ،
أو إذا هو آمن بمبدأ الإسلام يرى لزاماً على شعبه أن يتبعه ،
وكان نتيجة انتشار الإسلام أن أصبح ٩٥٪ من سكان البلاد
مسلمين .

قامت هذه المملكة القديمة « تكرور » ويعتبر تاريخها
القديم غامضاً . وفي القرن الثاني الهجري حوالي عام ١٥٣ هـ
٧٧٠ م سقطت الأسرة الحاكمة في مملكة غانة بعد أن ثار
عليها شعب السوننكي فهاجرت هذه الأسرة نحو الغرب
واستقرت في مملكة تكرور ، وأصهرت إلى شعب التوكلور ،
فسيطرت على الحياة السياسية ، واستطاعت أن تحكم البلاد
حتى نهاية القرن الخامس الهجري حوالي عام ٤٦٩ هـ — ١٠٧٦م
حيث ثار شعب التوكلور عليهم ، وحكم البلاد حتى عام
٦٣٨ هـ — ١٢٤٠ م ، حيث عاد الشعب الفولاني إلى الحكم
بعد أن هاجرت أسرة منه من كانياجا حيث كانت تحكم
هناك ، واستمر حكم هذه الأسرة حتى عام ٧٥١ هـ — ١٣٥٠م
حيث ثار عليها شعب الولوف ، وحكم البلاد حتى القرن

الخامس عشر حيث رجع شعب التوكلور لحكم المملكة ، وفي ١١٩٠ هـ — ١٧٧٦ م أسس فولاني أسرة حكمت البلاد حتى عام ١٣٠٨ هـ — ١٨٩٠ م . ومن شعب التوكلور ظهر الحاج عمر الذي أسس مملكة واسعة امتدت حتى أواسط إفريقية ، ولكنها بعد استشهاده في احدى حروبه عام ١٢٨٢هـ ١٨٦٥ م ضعفت حيث لم يستطع أن يحافظ عليها أبناؤه ، وفي هذه الأثناء كان الاستعمار الفرنسي يدخل المنطقة بأكملها.

اكتشف بعض البحارة الأوربيين نهر السنغال عام ٧٤٧ هـ ١٣٤٦ م ، وزاروا الرأس الأخضر ، ولكنهم لم يقيموا فيه ، وفي عام ٨٤٨ هـ — ١٤٤٤ م احتل البرتغاليون جزيرة ارغين الصغيرة ، واحتل الهولنديون جزيرة غوريه الواقعة تجاه داكار وظل هؤلاء أسياد هذه المناطق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، إذ بدأ الفرنسيون يترددون على الشواطىء السنغالية ، وينشئون مراكز الاقامة في بعض أنحائها .

ولقد وصل البرتغاليون إلى الرأس الأخضر ، ومنه تسللوا إلى بامبوك بحثاً عن الذهب ، ولكن السكان طردوهم ، وفي عام ١٠٣٦ هـ — ١٦٢٦ م أسس الفرنسيون مستعمرة لهم عند مصب نهر السنغال ، وفي عام ١٠٧٠ هـ — ١٦٥٩ م أقام الفرنسيون حصن سان لويس ، وبعد عشرين سنة طردوا البرتغاليين من ممتلكاتهم جنوب الرأس الأخضر ، وأصبحت

كل شواطىء السنغال بأيديهم . وظل الانكليز ينازعونهم السيادة عليها طوال الحروب التي نشبت بين الدولتين خلال قرنين متواصلين ، فقد احتل البريطانيون مستعمرة سان لويس سنة ١١٧٢هـ — ١٧٥٨م ، ثم عاد السنغال إلى فرنسا بموجب معاهدة ١١٩٨ هـ — ١٧٨٣ م ، ثم أعاد البريطانيون الكرة واحتلوا السنغال ، ولكن معاهدة باريس عام ١٢٣٣ هـ — ١٨١٧ م أعادت المنطقة إلى فرنسا ومنذ ذلك الحين انتهى كل تدخل أوربي في أمور المستعمرة . وكان الأوربيون كل هذه الفترة ينشئون على سواحل غرب افريقية مراكز تجارية تعرف باسم « كومبتوار » ، وفي هذه المراكز التجارية انحصر نشاط الأوربيين ، واقتصر على تجارة العبيد في أول الأمر ، فلما ألغي الرق تضاءلت أهمية هذه المراكز ، وبعضها انعدمت أهميته .

وعندما تولى نابليون الثالث حكم فرنسا سنة ١٢٦٥ هـ — ١٨٤٨ م وضعا مشروعاً للتوسع في داخل السنغال ، وعين الجنرال «فادهرب» حاكماً على السنغال فجرد حملات كبيرة لاخضاع المناطق الداخلية ، واشتبك مع الأهالي بحروب دامية استمرت بضع سنوات ، وانتهت بتوطيد السيادة الفرنسية على السنغال ، ووضع حجر الزاوية في الامبراطورية الفرنسية الواسعة في إفريقية الغربية ، حيث استخدمت السنغال كقاعدة

للعمليات الحربية الاستعمارية الفرنسية .

وقد أعيد تنظيم السنغال كأقليم بواسطة فرنسا عام ١٢٧٧هـ ١٨٦٠م – وقد أكمل بقية الحكام عمل «فادهرب» ، فلم ينته القرن التاسع عشر الميلادي إلا وقد تم اخضاع البلاد ، وبدأ فيها العمل الاستثماري الاقتصادي .

وبقي بين الانكليز والفرنسيين خلاف على حدود السنغال من جهة غامبيا ، فعقد الجانبان معاهدة عام ١٣٢٢ هـ – ١٩٠٤م سوي بموجبها الخلاف ، فتنازل الانكليز للفرنسيين عن جزيرة غوريه ، وتنازل هؤلاء لهم عن منطقة واسعة على جانبي نهر «غامبيا» ، وهكذا تحددت مستعمرة السنغال نهائياً .

وفي عام ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٤ م صدر مرسوم نظم فيه أوضاع السنغال حيث شكل من «داكار» ومن المنطقة المحيطة بها منطقة خاصة ، وقسمت البلاد إلى أربع مقاطعات ، وكان سكان السنغال يحملون بطاقة الرعاية الفرنسية ويؤدون الخدمة العسكرية الاجبارية ، كما ينتخبون نواباً عنهم في المجلس النيابي الفرنسي ، وهم الزنوج الوحيدون الذين يتمتعون بمثل هذه الحقوق السياسية .

وفي عام ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٦ م صدر مرسوم آخر أعاد منطقة «داكار» إلى السنغال. وفي عام ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٧ م

جرى انتخاب أول جمعية عامة للبلاد ، وبعد عشر سنوات تألفت أول حكومة ذاتية للسنغال .

وفي عام ١٣٧٨ هـ – ١٩٥٨ م صدر قانون ديجول الذي منح فيه الأقاليم الافريقية حرية الاختيار بين قبول الدستور أو رفضه ، ويعني رفضه (أن تمتنع فرنسا عن تقديم أي معونة اقتصادية أو فنية أو إدارية وذلك بعد الاستقلال) ، أما الأقاليم التي تقبله فتصبح أعضاء في الجماعة الفرنسية ، وهي نوع من أنواع الاتحاد ، وتصبح ذات استقلال داخلي . وبعد استفتاء جرى في البلاد أصبحت السنغال عضواً في الأسرة الفرنسية وذلك منذ عام ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ م .

وبعد عام أي في سنة ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م انضمت السنغال إلى السودان الفرنسي ليؤلفا معاً اتحاد«مالي»، وبعد عام أيضاً أصبح اتحاد مالي مستقلاً ضمن الأسرة الفرنسية ، ولم يمض على ذلك أكثر من ثلاثة أشهر إلا وقد انحل الاتحاد وأصبحت السنغال جمهورية مستقلة ضمن الأسرة الفرنسية ، وقد انتخب«ليوبولد سنجور »رئيساً للجمهورية ، والسيد محمد ضيا رئيساً للوزراء ، أما المجلس التشريعي فيضم ثمانين عضواً وقد انتخب عام ١٩٥٩ م لمدة خمس سنوات ، وفي عام ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م كان السيد محمد ضيا في زيارة للبلاد الاشتراكية وأثناء عودته ووصوله إلى البلاد وجهت إليه التهمة

بمحاولة انقلاب لتغيير نظام الحكم ، وكان رئيس الجمهورية يعتمد على قوات البوليس والدرك ، فاعتقل السيد محمد ضيا وأربعة من الوزراء السابقين ، وأصبح «ليوبولد سنجور » يمثل السلطة التشريعية والتنفيذية .

السياسة الاستعمارية

لم يكن الاستعمار ليدخل بلداً من البلدان بطريق الصدفة أو بصورة ارتجالية أو حسب رأي زعيم استلم الحكم فأراد التوسع وأحب استعمار الشعوب ، فانبرى يرسل الجيوش ، ويزودها بالعتاد ، ويتبعها بالمؤونة والمعونة ، حتى يخضع ذلك البلد لحكمه . ولكن الاستعمار يقوم نتيجة دراسة طويلة فيضع الخطة ، ويرسم الطريقة ، لينفذ مأربه . ومنذ أن وصل الأوربيون إلى ساحل إفريقية الغربي بدأت معهم الدراسة ، فعالم الاجتماع يدرس العادات والتقاليد للشعب ، وعالم الجغرافية يبحث الأرض وامكانياتها ، والجيولوجي يقدر ثروات البلاد الباطنية ، وكل صاحب اختصاص يدرس ما يمكنه الاستفادة منه ، ونتيجة الدراسة والتمحيص وتفنيد الآراء يوضع مشروع دخول البلد واستعماره .

منذ أن قامت المراكز الأولى على الشاطىء الغربي لافريقية من أجل جلب الرقيق شعر الافريقيون بالذل ، وأيقنوا بالخمول ورأوا أنهم يساقون من الداخل إلى الشاطىء كالسوائم ، وتتوافد أفواج الرقيق من كل جهة باتجاه المرفأ المعد لذلك ، والعصا فوق رؤوسهم ، والحراب موجهة إليهم ، والبنادق مسددة إلى ظهورهم ، والسيوف مشرعة لكل من تسول له نفسه الخلاص أو الفرار ، والآباء ينظرون إلى أبنائهم ، وهم على هذه الشاكلة ، وليس لهم حول ولا قدرة على انقاذهم ، وليس لديهم من شيء يقدمونه إليهم ، وهم مغادروهم ، إلا دمعة حارة تنسكب على الوجه ، فلا يمحى أثرها ، وحسرة من قلب تبقيه مفتتاً ، ولوعة كبد يبقى بعدها مدمياً ، وأي ذل أكثر من هذا الذل وأي شعور بالنقص أقوى مما هم عليه .

وانتهى عهد الرقيق ، وقامت الدول الاستعمارية بذاتها تحرمه ، وتحاربه لتخمها وامتلاء أرضها الجديدة به وحرصاً على اقتصادها من منافسة البضائع الرخيصة التي يعمل بها الزنوج ، لا تقوى ولا إنسانية. وظن الافريقيون أنهم تنفسوا الصعداء، وأنهم قادمون على خير ، وأن الاستعمار قد تغيرت نفسيته — أعوذ بالله أن تتغير — وما هي إلا فترة قد مرت مرور الغمام ، وانقضت ، وانقضى معها الحلم الزاهر ، والأمل المعسول ، فاذا بالمراكز التجارية الجديدة القائمة باسم التجارة والتبادل لا باسم الرقيق والعبودية تتدخل إلى النفوس بالديون ، وتتغلغل

إلى الداخل باسم التجارة ، ولم تنقض فترة حتى يرهق كاهل السكان بالديون ، وينوءوا بالعبء الثقيل الذي يحملونه ، وتصبح مقدراتهم بأيدي الشركات التجارية ، ومستقبلهم منوط بالمموِّلين من التجار ، ويريدون التملص فلا يقدرون ، ويبحثون عن طرق التخلص فلا يجدون ، وإذا بأخصب أراضيهم ملك للدخلاء، وأطيب أملاكهم ثروة للأجانب، وإذا هم أجراء يعملون لغيرهم، وعمال يشتغلون لحساب سواهم .

ومن طريق آخر يتوصل المستعمرون إلى رؤساء القبائل والأمراء ممن يقتلهم حب الجاه والشهرة ، ويفتنهم المال والشهوة ، أو أن النفس البشرية تحاول الاتصال بمن تراه أرفع منها ، وتتملق إلى صاحب الامكانية والسلطان صاحب المال والصيت ، ويتقرب هؤلاء الزعماء الجدد من المستعمرين، وينقبون عن مساوىء بعضهم ، ويبحثون عن زلات الآخرين تقرباً وحيلة . والأجنبي يرمي الدسائس ، ويوقع المكائد ، ويزيد نار الخصومات أواراً ، ويشعل بينهم ناراً ، فتضعف قواهم ، وتخور عزيمتهم ، فيصفو له الجو ، فيستلم الحكم بعد أن يقضي على أمير برئيس ، وعلى الرئيس بزعيم آخر . ومتى استلم زمام الامر ، بدأ بتطبيق سياسته المرسومة ، وقد سار الفرنسيون ضمن خطةٍ موضوعة يمكن أن نتكلم عن بعض النواحي منها :

١ً – الناحية الاجتماعية : لقد اتبع الفرنسيون سياسة التفرقة العنصرية ، فكانوا يفضلون الأبيض على الأسود تفضيلاً مجاهراً به ولا حدود له ، فلا يستلم ابن البلاد أي عمل مؤهل له ، ولا يوكل إليه أي مهمة إلا إذا كان لا يسد مسده آخر من البيض ، وكانوا يحتقرون السنغاليين ، ويشعرونهم بأنهم شعب خامل ، لا يمكنهم استلام المهام وتحمل المسؤولية ، وأن ذكاءهم أقل من غيرهم . وأدخلوا إلى البلاد المسكرات والمخدرات ، وهي تفت في جسم الأمة كما ينخر السوس داخل الحب ، ليلهو الشعب ، ويعبث ، فلا يبالي بما تلعب به صروف الدهر. يضاف إلى هذا نظام السخرة الذي ساروا عليه ، وهذا ما جعل السنغالي يشعر بالذل والنقص ، وعدم إكرامه ، وأنه مخلوق دون سواه ، وإذا رأينا تلك المزارع الفرنسية الفسيحة والاقطاعات الواسعة ، وما فيها من ظلال وارفة ، وأشجار خضراء ، وثمار يانعة ، ومياه جارية ، وإذا علمنا العرق الذي سقيت به تربتها ، والجهد الذي بذل من أجل اظهارها بهذا الشكل كان من السنغاليين ، وأن هذا لم يكلف أصحابها فرنكاً واحداً ، إنما كان سخرة وتكليفاً . وأن أجرة العامل وراتب الموظف يختلف بين أبيض وأسود اختلافاً كثيراً جداً ، وأن الذين كانوا يعملون في الاقطاعيات كانوا يهانون ويضربون ، ولا يمكنهم ترك مزارعهم وأماكنهم فهم عبيد كما هو الحال في القرون

الوسطى في أوربا وإن كانوا يرتدون ثياب الأحرار . وهناك في القضاء بين إهانة البيض والسود فرق كبير ، وفي أغلب الأحيان تهمل قضايا إهانة السود إن وقعت من قبل البيض . ولم تعمد فرنسا إلى القيام بأي مشروع يهدف إلى رفع مستوى الشعب ، ويضمن له حياة أرفه وعيشاً أسعد .

ومن ناحية المرض فكان يفتك بالزنوج فتكاً ذريعاً نتيجة للمناخ وسوء التغذية دون أن تقام المستوصفات أو يهتم بهم أحد ، بينما نجد الفرنسيين لهم مشافيهم الخاصة وأطباؤهم الذين كانوا كأنهم في جنة وارفة ضمن جحيم ، ولم يخطر ببال فرنسا بناء مشفى كبير كالتي توجد في بلادها لتخلص السكان من تحكم الأمراض وتسلط الحميات . وإليك النشاط الصحي في عام ١٩٣٦ م أي بعد استعمار أكثر من قرن من الزمن .

دار للتوليد في «داكار» .

عدد قليل من المشافي في المراكز الهامة .

وهناك دائرة صحية متنقلة ، وأخرى للتلقيح ضد الأوبئة خوفاً من عدوى الفرنسيين .

هذا كله في افريقية الفرنسية الغربية التي تشمل : السنغال – غينيا – شاطىء العاج – الداهومي – النيجر – مالي – مورينانيا .

وهذه البلاد تبلغ مساحتها نصف مساحة أوربا أي عشرة أمثال مساحة فرنسا تماماً .

ومن ناحية العلم سار الفرنسيون على خطة ابقاء الشعب في جهل تام حتى يبقى قابعاً في جهله ، لا يدري ما حوله ، ولا يفكر بما يحيط به ، وإن وجدت مدارس فابتدائية ، وقلما تصل إلى المتوسطة ، وتلقن العلم الموجه من قبل الأجنبي ، حيث يتعلم الطالب أن الفرنسيين جاءوا إلى هذه البلاد ليأخذوا بيدها إلى الحضارة ، وليرفعوها إلى مستوى بقية الشعوب ، وليدفعوا عنها غارات بقية المستعمرين ، ولو تركوها لأصبحت لقمة سائغة بيد الطامعين وقطعة ممزقة بأنياب الغاصبين ، وكانت لغة العلم هي الفرنسية فقط ولا يسمح لغيرها . كما أن لغة البلاد تعتبر بدائية وتحتقر . واللغة العربية التي تدرس في الكتاتيب لقراءة القرآن ، وفي الزوايا لعلم التفسير ، وفي التكايا لبحث الفقه كانت تلاحق وتحارب محاربة لا هوادة فيها ، إلى جانب هذا توجد الارساليات التبشيرية التي تعلم البيض ، والذين يدخلون في الدين المسيحي ، وتدعو إلى ترك الإسلام ، وأنه دين مستعمر جاء عن طريق العرب في الشمال بواسطة الأمراء وأن دين السادة . وأنه فرض بالسيف والقوة وأن الزنوج كانوا يقومون برد فعل ضده ينتصرون أحياناً ويقهرون في أغلب الأحيان حتى تمكن أن يستقر ،

وقد وعى الزنوج الآن فيجب دحره واخراجه ، وكانت غايتهم ايجاد جيل كافر ينبذ الإسلام الذي فيه القوة وفيه التضحية والجهاد ، وفيه البطولة والفداء التي ذاق الدخيل مرها وعرف قساوتها . ولهذه الارساليات التبشيرية الصلاحية المطلقة ، وتتلقى المعونات الضخمة وتقدم لها كل الامكانيات .

وكان عدد المدارس في كل افريقية الغربية الفرنسية عام ١٩٣٦ م ٣٨٥ مدرسة ابتدائية وعدد طلابها ٥٢٥٥٠ طالباً ثم سبع مدارس ثانوية عدد طلابها ٦٠٤ طلاب و ٨ مدارس فنية عدد طلابها ٤٣٧ ، وكليتان عدد طلابها ٧٣٠ طالباً . أما المدارس الإسلامية فكان عددها ٦٩ مدرسة وعدد طلابها ١١٤٢٩ طالباً ، وهذه المدارس الإسلامية اقيمت من تبرعات الأهلين الحريصين على أبنائهم ومع ذلك تحاول فرنسا فرض برامجها عليها وإلا لاقت نصيبها من الإغلاق . ويكره الفرنسيون شعب «الفولاني» الذين يدعون أنهم من أصل عربي ، كما أنهم يحاربون هذه الفكرة إضافة إلى محاربتهم لهم .

ومما يلاحظ أن فرنسا حرصت ، قبل أن تخرج مضطرة من عدد من مستعمراتها الإفريقية ، على أن تمهد في كل دولة أعطيت استقلالها السياسي ، لمجيء رجل صابىء إلى رئاسة الدولة في المستعمرة المستقلة حديثاً . إنها تعتقد أن الرجل الصابىء يكون أميل إلى السياسة الغربية من غير الصابىء ،

ذلك لأن المسيحية في رأيها تجمع بين ذلك الصابىء وبينها أكثر مما تجمع بين الصابىء وبين قومه الأولين من المسلمين أو الوثنيين ، ومع أننا عرفنا أن نفراً من هؤلاء قد خيبوا ظن فرنسا في ذلك ، فإن نفراً آخرين كانوا كما شاءت فرنسا . ولعل القطعة التالية المأخوذة من مجلة روز اليوسف ، مع شيء من التلخيص والتصرف ، تمثل الحالة تمثيلاً صحيحاً :

توقع البعثات التبشيرية في السنغال مع عدد من الأسر السنغالية الفقيرة عقوداً تقدم بموجبها تلك البعثات التبشيرية إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية (ضئيلة) من أرز مثلاً في كل شهر على أن يكون لها حق باختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها . ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه إذا هي خالفت شروط العقد (بطلب استرداد ابنها مثلاً) .

وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبياً دون الخامسة من العمر ثم ترسله إلى مدرسة (تبشيرية طبعاً) . وينقطع الصبي عن أهله وينشأ تنشئة مسيحية ثم يرسل إلى فرنسا لاتمام تعليمه العالي. بعدئذ يعاد إلى السنغال ليستخدم في الأغراض التي توافق هوى فرنسا .

وحينما يعود الصبي السنغالي الذي أصبح رجلاً مسيحياً

فرنسياً إلى السنغال يمنح حق المواطن الفرنسي في المستعمرات من حيث المستوى الاجتماعي والوظائف ، ويضرب كاتب المقال في مجلة روز اليوسف على ذلك مثلاً فيقول :

أنت تعلم أن كلمة « سانجور » (اسم رئيس جمهورية السنغال الحالي) معناها « سان جورج (القديس جورج) ».. وأن رئيس الجمهورية مسيحي لكن أبويه وإخوته مسلمون .

وفي الصفحة من المجلة المشار إليها مقطع متمم للمأساة الناتجة من التبشير والاستعمار :

اتفق أن كان أول رؤساء الوزارة في السنغال رجل مسلم اسمه محمد ضيا وكان يرى أن من مصلحة بلاده أن تستقل عن المجموعة الفرنسية وتنهج طريق الحياد والاشتراكية . وسافر محمد ضيا إلى دول الكتلة الاشتراكية ... ثم عاد ليجد نفسه متهماً بتدبيره مؤامرة لقلب نظام الحكم . وسجن محمد ضيا ، وأصبحت جميع السلطات في يد « سانجور » رئيس جمهورية السنغال بعد أن أصبح نظام الحكم رئاسياً[١] .

٢ — الناحية الاقتصادية : إضافة إلى نظام السخرة الذي

(١) التبشير والاستعمار — الطبعة الثالثة ١٩٦٤ الصفحة ١١—١٢ — منشورات المكتبة العصرية صيدا — بيروت . مجلة روز اليوسف السنة ٣٩ ، العدد ١٨٤٧ ، بتاريخ الاثنين ٤—١١—١٩٦٣ الصفحة ٢٦ القاهرة .

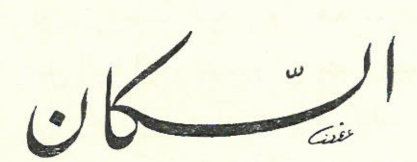
اتبع في كافة أرض السنغال ، والذي استفاد منه الفرنسيون كثيراً حيث ينجزون أعمالهم دون دفع أي أجر ، نجد أنهم اتبعوا نظاماً تجارياً استعمارياً خالصاً ، فكانوا يشترون المواد المنتجة بأسعار رخيصة نتيجة لفقر السكان ، ويخزنونها حتى قبيل الموسم الثاني ، ويكون المنتج قد استهلك ما لديه ، وأصبح بحاجة ماسة إلى هذه المواد ، وعندها تنزل هذه المواد المخزونة إلى الأسواق ، وتباع بأسعار تبلغ أضعافاً مضاعفة لثمن الشراء ، أما بالنسبة إلى البضائع المستوردة من الخارج والتي لم تكن تنتجها البلاد ، فكانت تباع باختلاف ظاهر عن ثمن شرائها .

وليس من المسموح للفلاح بأن يزرع وينتج المحصول الذي هو بحاجة إليه لاستهلاكه ، أو الذي يراه مفيداً ، ويدر عليه أرباحاً ، بل كان عليه أن يزرع المحصول الذي يتطلبه منه الاستعمار والذي هو بحاجةٍ إليه . كل هذا من سخرة وتفاوت في الشراء والمبيع وفرض منتوج جعل السكان في فقر مدقع وعيش كئيب . ولم تفكر فرنسا في زيادة المساحات الزراعية المروية ولا في إقامة مشاريع على الأنهار رغم كثرتها ، وامكانية اقامتها .

كذلك عمدت فرنسا إلى أخذ جميع ثروات السنغال إلى فرنسا وصناعتها هناك ، حتى لا تقوم صناعة في داخل البلاد

ويستفيد السكان سواء بالصناعة أو بالمال وسواء بتملك المعامل إذا خرجت فرنسا من السنغال .

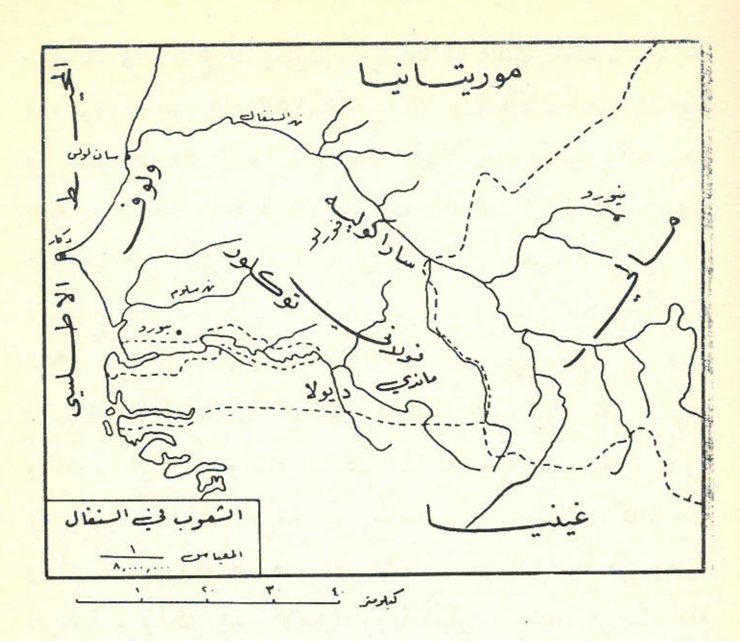
٣ ــ **الناحية العسكرية :** كما عمد المستعمر إلى التفريق في الوظائف المدنية ، كذلك عمد إلى التفريق في الرتب العسكرية إذ هناك فرق بين ترفيعات البيض وترفيعات السود ، وبين الرتب التي يتوصل إليها الأوربيون والتي يصل إليها الإفريقيون وليس الرتبة هي الفرق الوحيد ، فقد كانت الرتبة ذاتها وما لها من مزايا مادية وصفات تختلف بين الجندي الفرنسي والسنغالي . ومع هذا فالجندي السنغالي هو الذي يقدم كبش الفداء ، وهو الذي يخوض المعامع ، ويقدم في الحروب ، ويكون في الصفوف الأمامية ، ليتقي به الجندي الفرنسي ، ويدفع عن نفسه هول الخطر ، وليقيم عليه مجده الحربي وعزه العسكري ، وليبقى الدم الأوربي النقي يجري في العروق خوفاً عليه من الضياع . وإنا لنعلم أن الاستعمار الفرنسي في سورية ولبنان كان يقوم بالدرجة الأولى على الجنود السنغاليين .



يبلغ عدد سكان السنغال حسب احصاء عام ١٩٦٨ م ٣,١٠٠,٠٠٠ نسمة أي بمعدل ١٥ شخصاً في كل كيلو متر مربع ، ويكثر السكان على السواحل ، وعلى الضفة اليسرى من نهر السنغال ، وفي المنطقة التي تمر منها السكة الحديدية سواء المتجهة من « داكار » نحو « سان لويس » أم المتجهة من داكار نحو بلاد « مالي » في الشرق . أما منطقة « فورلو » شبه الصحراوية الواقعة في الشمال الشرقي : فتكون قليلة السكان .

ويشكل المسلمون أكثر السكان إذ تبلغ نسبتهم ٩٥٪ وهي نسبة مرتفعة جداً .

ويتألف السكان من مجموعة شعوب هي :



١ – **الفولاني :** أو الفولبي وهو اسم أطلقه هذا الشعب على نفسه ، ويطلق عليهم جيرانهم أسماء مختلفة تربو على المائة أشهرها فولا ، فولاني ، بهل ، حتى حسب بعضهم أن كل اسم يمثل مجموعة لوحدها .

وقد جاء هذا الشعب قديماً من صعيد مصر حوالي القرن الرابع الميلادي ، وهاجر غرباً حتى وصل إلى بلاد المغرب ، ثم انحدر على ساحل المحيط الأطلسي ، فاستقر بعضه هناك ، ومضى بعضه الآخر قدماً ، وتسرب إلى بلاد الزنوج تسرباً

سلمياً ، واستطاع أن يكون أسرة حاكمة ظلت تحكم في مدينة « اوكور » حتى عام ١٥٣ هـ — ٧٧٠ م ، وكان شعب المنطقة من «السوننكي » ، فثاروا على شعب الفولاني الحاكم ، وانتصروا عليه ، فابتدأ بالهجرة نحو الغرب واستقر في مملكة تكرور على شواطىء نهر غامبيا ، وأصهر إلى شعب «التوكلور» ، فاستطاع السيطرة على الحياة السياسية ، وأسس مملكة حكمت البلاد حتى عام ٤٦٩ هـ — ١٠٧٦ م ، حيث ثار على هذه الأسرة الحاكمة شعب التوكلور ، فاتجه الفولانيون نحو الشرق وغادروا البلاد ، وأثناء انتقالهم هذا لعب بعضهم دوراً بارزاً في تكوين الطبقة الحاكمة التي ساعدت على استقلال «كانياجا » وقيام امبراطورية صوصو التي شملت جزءاً واسعاً من وسط افريقية ، ولكن هذه الامبراطورية انهارت عندما هزمت أمام مملكة «الماندينغ »، واحتلت أرضها ، فأخلا الفولانيون المنطقة وسار بعضهم نحو الغرب ، وعادوا إلى بلاد تكرور ، واستطاعوا أن يعودوا لحكمها حتى عام ٧٥١ هـ — ١٣٥٠ م حيث ثار عليهم شعب الولوف ، واتجه قسم منهم نحو الشرق ، واستطاعوا نشر الإسلام بين قبائل الحاوسا التي كانت لا تزال على الوثنية . أما الفولاني الذين في بلاد تكرور ، فعادوا للحكم عام ١١٩٠ هـ — ١٧٧٦ م واستمروا في سيطرتهم حتى ١٣٠٨ هـ — ١٨٩٠ م حيث قضى على مملكتهم الفرنسيون .

وينتشر الفولاني في مناطق واسعة من افريقية الغربية والوسطى وخاصة في النيجر ، ويعتبر أمير المؤمنين في « سوكوتو » منهم ، وتخضع له قبائل الحاوسا التي تسيطر على شمال نيجيريا .

ويستقرون في السنغال في منطقة « فورلو » ، وعلى شواطىء نهر غامبيا وغرب سفوح جبال « فوتا دجالون » وهم يشبهون العرب ، ويجيدون لغتهم ، حيث يعلمونها في مدارسهم . وكانوا إذا أساء إليهم أحد الحكام ، هدموا مدنهم ، وارتحلوا وهذا ما رأيناهم من رحلاتهم المتعددة في تاريخهم . ولهم رؤساء من أنفسهم يحكمونهم حكماً معتدلاً ، وهذا ما يجعلهم يستطيعون حكم المنطقة التي يستقرون فيها — كما رأينا — والفولاني على جانب كبير من النشاط والاقتصاد ، يزرعون القمح والقطن ، ويشتهرون بالكرم ، فاذا علموا أن أي فرد من جماعتهم قد أخذ رقيقاً ، اجتمع الفلانيون وحرروه ، ولوفرة القمح عندهم ، لا يدعون أي واحد منهم يقاسي الحاجة ، بل إنهم يعولون المسن والأعمى والأعرج ، ويساوون بينهم وبين الآخرين ، وقلما يستولي الغضب على نفوسهم ، أو يسب أحدهم الآخر ، ويعرفون بشجاعتهم ، واخلاصهم لدينهم ، ويندر أن يشرب أحدهم الخمر[1] .

(١) فرانسيس مور : رحلة أجزاء افريقية الداخلية ص ٧٥-٧٧ .

٢ — **الولوف** : ويشكلون أكثر السكان حيث يزيدون عن الثلث، ويعيشون في منطقة نهر السنغال الأسفل وعلى طول الساحل حتى منطقة سلوم ، وأصبحت لغتهم التجارية تعم السنغال كلها تقريباً ، وهم أكثر الزنوج سواداً ، ولهم مقدرة غريبة على الاختلاط ، وأكثرهم يفضل التجارة على غيرها .

٣ — **التوكلور** : وهم من بقايا المرابطين ، والذين حملوا الإسلام إلى بقية الشعوب ، ويمتون إلى شعب الولوف بصلة القرابة . وهم ذو قامات عالية وعضلات قوية ، نشيطون يكثرون من الأسفار ، ويحذقون من التجارة والزراعة ، يرغبون السفر إلى الشواطىء والعمل لدى الشركات التجارية والبحرية ، وعرفوا بعزة النفس والكبرياء وحب الغزو والسيطرة لذا كانوا يحتلون مركزاً رفيعاً في الفرق السوداء في الجيش الفرنسي .

٤ — **الماندي**: وهي كلمة مرادفة لكلمة «ماندينغ» ومعناها الذين يتكلمون بلغة الماندي ، ولهم عدة أسماء أيضاً ، فالفولاني يسمونهم « مالي » ويطلق عليهم البربر اسم « مليت » والعرب « مليل » ، أما الحاوسا فيسمونهم « وانجارا » ويسكنون منطقة «غامبيا العليا» ، وهم ينتشرون بكثرة في بلاد مالي .

٥ — **الديولا**: ويعيشون في منطقة «كازامانس» و«غامبيا»

العليا ، وهم أقرباء «الساراكولية»، وقد دفعتهم كفاءاتهم التجارية ليجوبوا منطقة السودان وليصبحوا دعاة شهيرين للإسلام .

٦ — **الساراكولية** : ويقيمون في منطقة السنغال الأوسط وقرب « نيو رو[1] » .

٧ — **السيرير** : ويسكنون في بلاد باؤل في الجنوب ، ولا يزال بعضهم من عبدة الأرواح ، وإن كان ينتشر بينهم الإسلام . وهناك قبائل وثنية لا تزال بدائية تعيش في الغابة .

هذا بالاضافة إلى عدد من العرب يزيدون عن عشرة آلاف يقيم معظمهم في «سان لويس» وضواحي «دكار»، وأكثر هؤلاء العرب من السوريين واللبنانيين . وقد ابتدأت الهجرة إلى هناك في الفترة ١٨٨٠ — ١٨٨٥ م وهي أول منطقة تطأها أقدام المهاجرين من سوريا ولبنان في افريقية الغربية ، ويعمل ٩٥٪ منهم في التجارة وخاصة في « دكار» و« ديوربل» .

أما الأوربيون فيزيدون عن أربعين ألفاً وتأتي الجالية الفرنسية في الطليعة وتأتي بعدها البرتغالية .

وأهم مراكز تجمع السكان في السنغال :

---

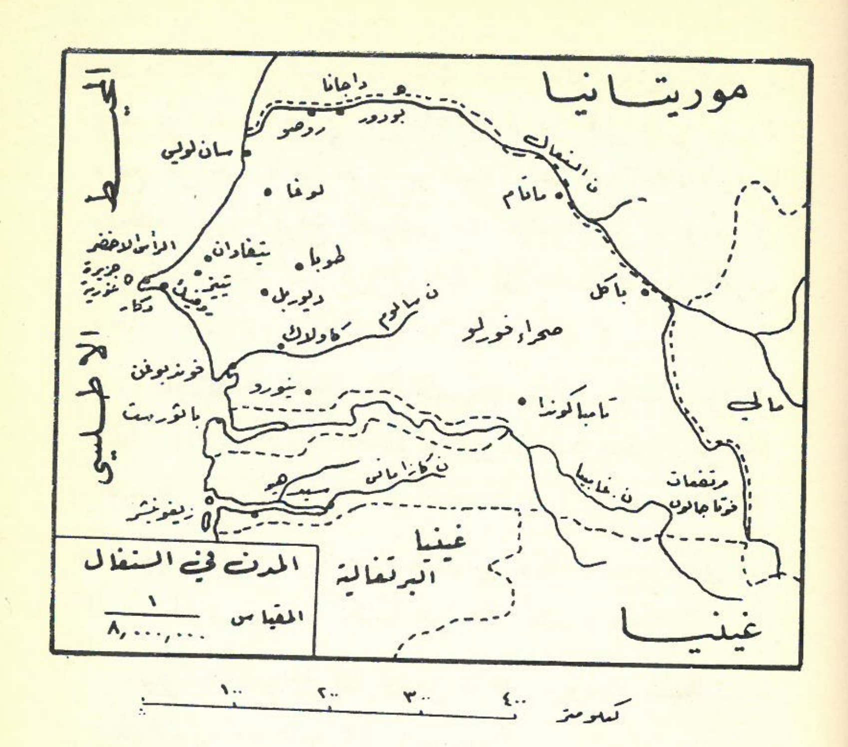
(١) نيورو : اسم لمدينتين احداهما في السنغال والثانية في مالي .

داكار : ويزيد عدد سكانها عن ٣٠٠ ألف نسمة ، وتقع على الرأس الأخضر الذي هو عبارة عن تلين بركانيين ، وصلا بواسطة سهم رملي ، فنشأ في هذا المكان ميناء داكار ، وقد استفاد من هذه الحماية من الأمواج ، فأصبح من أحدث الموانىء ، وخاصة في غرب افريقية ، وبسبب المساعدة الاميركية أثناء الحرب العالمية الثانية ، فهو أبرز النقاط في غرب افريقية وتقع مقابلها جزيرة « غورية » ذات الموقع الهام . وقد كانت داكار عاصمة الحكومة العامة لافريقية الغربية كلها . لذلك لم تكن لتعتبر مع ضاحيتها إلا مستعمرة خاصة غير السنغال .

ويوجد في « واكام » ضاحية داكار مطار كبير للطائرات البرية ، كما يوجد في « بللير » مطار للطائرات المائية .

وتعتبر داكار مركزاً علمياً هاماً ، ففيها مؤسسة باستور للابحاث الطبية ، ومؤسسة افريقية للابحاث الافريقية ، وفي ١٩٥٧م افتتحت جامعة داكار وتدرس الفنون والعلوم والحقوق والطب ، كما يوجد فيها خمس عشرة مدرسة ثانوية ، انشأت خمساً منها الارساليات التبشيرية .

إضافة إلى هذا تعتبر مركزاً اسلامياً لا بأس به في غرب افريقية .



روفيسك : ويزيد عدد سكانها عن ٥٠ ألف وتقع على مقربة من داكار إلى الشرق منها قليلاً وتعتبر ضاحية من ضواحيها ، وقد كانت تتبع اقليم داكار الخاص ، وتعتبر مرفأ هاماً .

سان لويس : ويقارب سكانها الخمسين ألفاً ، وقد كانت عاصمة السنغال ، ثم تحولت العاصمة إلى داكار بعد

ضم مقاطعتها إلى السنغال ، لذلك بدأت سان لويس بالتقهقر ، وقد بني هذا الحصن عام ١٦٥٩ م من قبل الفرنسيين ، وتقع على جزيرة من جزر نهر السنغال على لسان بلاد البرابرة ويختلط فيها أكواخ الصيادين مغ خيام الرحل ، ويقيم في هذه المدينة عدد كبير من الأوربيين إلى جانب عدد من العرب وتعتبر سان لويس مركزاً اسلامياً .

كاولاك : وهي مرفأ عند مصب نهر سلوم ، وتصل إليها البواخر الكبيرة الحجم ، ويزيد عدد سكانها عن ٥٠ ألف نسمة .

زيغوينشر : مرفأ عند مصب نهر «كازامانس»، أي أنها المرفأ الجنوبي ويزيد سكانها عن ٢٥ ألف نسمة .

ثييز : وتقع إلى الشرق من داكار ، وتعتبر محطة كبيرة للقطارات ، وسكانها ٤٥ ألف نسمة .

ديوربل : وتقع شرق ثييز إلى الجنوب قليلاً وهي مثلها محطة للسكك الحديدية، ويصل سكانها إلى ٢٥ ألف نسمة .

وهناك محطات على نهر السنغال : هي داجانا ، بودور ، ماتام ، باكل .

وهناك محطات للسكك الحديدية ، تيفاوان ، لوغا ، طوبا ، وتامباكوندا .

ومن المرافىء : فوند بوغن ، وسيدهيو .

المدن التي تعتبر مراكز اسلامية هي : داكار ، «سان لويس» ، بودور ، داجانا ، تيفاوان ، طوبا ، ديوربل.

اللغة : يتكلم السكان لغات عديدة ، ولكن اللغة الرسمية هي الفرنسية ، وأهم اللغات المحلية :

الولوف : وتنتشر على الساحل حيث يتكلم بها شعب الولوف ، وهي أكثر اللغات انتشاراً نتيجة لكثرة الشعب الذي يتكلمها ، وقد عمت هذه اللغة المعاملات التجارية .

الماندينج : وهي التي يتكلمها شعب الماندينج ، وتسود في بلاد مالي .

الفولا : وهي اللغة التي يتكلمها شعب الفولاني .

السيرير : ويتكلمها شعب السيرير ، وتعتبر قليلة الأهمية نتيجة لقلة هذا الشعب .

العربية : ويجيدها الفولاني ، وهي لغة الدين لذلك تعتبر شبه رسمية في المدارس الإسلامية ، ومعظم أهل الدين يعرفون شيئاً منها على الأقل . وقد تكتب لغة الولوف والماندينج بالأبجدية العربية الكوفية .

الأحزاب والحكم : يوجد حزب واحد ، وهو الحاكم

ويدعى « حزب الاتحاد التقدمي السنغالي » .

ونظام الحكم رئاسي ، ورئيس الجمهورية اليوم هو ليوبولد سنجور .

وتعتبر السنغال عضواً في الأمم المتحدة منذ تاريخ ٢٨ أيلول ١٩٦٠ .

الدين : إن ٩٥٪ من سكان السنغال مسلمين ، والبقية من المسيحيين والوثنيين ، ولم يحافظ الدين الإسلامي على بعض صفاته الصحيحة الأصلية ، ومعظم الوثنيين يقيمون في الغابة ولهم تجمعاتهم الخاصة .

الفن : لما كان الدين الإسلامي يحرم التماثيل فإننا لا نجد عند الشعوب الإسلامية الزنجية أي أثر للنحت والتصوير ، أما عند الشعوب الوثنية فإن المظاهر الفنية غزيرة بسبب ارتباطها الوثيق بالحياة الدينية وهي تتجلى في تماثيل الآلهة والقوى الطبيعية والأقنعة ووسائل التنكر عند ممارسة الطقوس .

صفات الزنوج : تتجلى على السود مميزات الاهمال الشديد وعدم الاكتراث بكل شيء ، وعدم حصر الاهتمام بأمر من الأمور ، وعدم توحيد الأفكار وربطها مع بعضها ، وانفجار سريع للعواطف ، وخفة ظاهرة واغراق في اللهو ، كما أن عندهم ذكاء مدفون واستعداد سريع للاندماج في

المحيط الجديد ، وغريزة حب السرقة وخاصة الأشياء التافهة واستعداد تام للاعتراف بهذه الجريمة .

أما زنوج الغابة فلديهم خمول متوارث .

يكون سن البلوغ مبكراً عند الزنوج بسبب حرارة المنطقة كما أن الغريزة الجنسية عنيفة عندهم ، ويكثر الزنوج من النساء بغض النظر عن أديانهم ومنهم المسيحيون ولم يستطع المبشرون تغيير هذه الفكرة عند اتباعهم . فقد تحدث الاسقف « اغوارد » الفرنسي عن قضية الزواج فقال « قضيت عشرين عاماً ، وأنا أدعو الزنوج المؤمنين[١] للاكتفاء بامرأة واحدة والعدول عن السرقة ، فلم أفلح ، وظلوا دائماً يدعون لي قائلين : جعلك الله سعيداً كل يوم ، وأعطاك الغنى لكي تتزوج نساء كثيرات ، ومنحك المهارة لكي تسرق دون أن يراك أحد »وروى الاسقف نفسه أن أحد وجهاء احدى القرى اعتنق الدين المسيحي على يديه ، وكان له زوجتان ، فأبى أن يتخلى عن إحداهما . وذات يوم عاد الاسقف إلى القرية من رحلة طويلة ، فاستقبله الرجل الكبير في الضاحية وقال له : لقد فعلت ما طلبته مني ، ولم يبق عندي سوى امرأة واحدة . فأجابه الاسقف إذن قد طردت الأخرى . فقال :

---

(١) يقصد الاسقف المسيحيين .

كلا لقد أكلتها[١] .

والمرأة الزنجية خادمة أمينة لزوجها ، تشتغل طول النهار بينما يبقى هو نائماً في الكوخ .

وطعام الزنوج : الرز والدخن وبعض الجذور ثم اللحوم بأنواعها .

ونظراً لأهمية الدور الذي تلعبه الطرق الصوفية فلا بد من ذكر شيء عنها :

---

(١) من كتاب نحن في إفريقية ص ٥١ .

الطرق الصوفية

هناك طريقتان رئيسيتان ، وقد تفرعت كل واحدة إلى عدد من الطرق ، ولعب بعض هذه الفروع دوراً مهماً في حياة السكان .

١ً – **الطريقة القادرية :** تأسست في بغداد في القرن الثاني عشر ميلادي ، وتنتسب إلى محمد عبد القادر الجيلاني ، ودخلت إفريقية في القرن الخامس عشر الميلادي على أيدي مهاجرين من مدينة « توات » وهي واحة تقع في النصف الغربي من الصحراء الكبرى . واتخذوا من مدينة « ولاته » في موريتانيا أول مركز لطريقتهم ، ثم انتشروا في كل غرب إفريقية ، وافتتحوا المدارس ، وأرسلوا الطلاب إلى فاس والقيروان وطرابلس والقاهرة .

ثم تفرعت هذه الطريقة إلى عدد من الفروع ، ومن هذه الفروع في السنغال :

أ — **البقاية :** وقد ظهرت في قبيلة قنطاس التي تدعي أنها من أصل عربي ومن سلالة عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب ، وتنتسب إلى سيدي أحمد البقابي الذي عاش في موريتانيا في أواخر القرن الخامس عشر ميلادي وكان فرعها قوياً في منطقة الطرارزة حيث يعيش حالياً أهل الشيخ سيديا ، وهم أحفاد الشيخ سيديا الكبير المتوفى عام ١٨٦٩م ، كذلك انتشرت في مالي . ويظهر أثرها واضحاً في شعب الفولاني إذ ظهر منهم الشيخ أحمدو ، وعثمان دافاديو .

وتتأثر السنغال بالطرق التي مراكزها في موريتانيا ، فتنتشر الطريقة القادرية البقاية على نطاق واسع . وهناك الجماعة الدينية المعروفة « **أبو قنطة** » وأصلها من تيفاوان ، وقد تأسست عام ١٨٨٥ م ، ورئيسها هو أبو أمين ، ونفوذها أخذ بالتضاؤل .

وفي السنغال توجد منظمة دينية سو داء ، كانت تابعة لأهل الشيخ سيديا وتدعى بالكتلة النورية .

النورية : هي إذن فرع من القادرية البقاية ، وتنتسب هذه الجماعة إلى أحمدو بامبا ، وأصله من شعب التوكلور ، وكان أبوه شيخ طريقة ، ويدعى «نومار امتثالي» ، ويقطن بلاد

« الأولوف » ، وقد بدأ نضاله في بلاد الباول ١٨٨٦ م ، وقد انشأ مركزاً دينياً في طوبا عام ١٨٨٩ م ، واتحد مع الشيخ سيديا الذي منحه الورد القادري ، بعد أن سافر إلى موريتانيا والتقى بالشيخ سيديا ، ثم بدأ بمقاومة الفرنسيين ، وفي عام ١٨٩٥ م قبض عليه ، ونفي إلى الغابون ، فتوسط له الشيخ سيديا ، فسمح له بالعودة إلى السنغال عام ١٩٠٢ م ، فاستقر في نباكي ، ولكن عاود نشاطه ضد فرنسا ، فنقل إلى موريتانيا ووضع تحت رقابة الشيخ سيديا بالذات ، ثم عاد إلى السنغال عام ١٩٠٧ م ، وتوفي ١٩٢٧ م ، وقبره في طوبا ، ويزور المريدون هذا القبر كل عام ، وتدوم الزيارة أربعة أيام وتبدأ في الثامن عشر من صفر من كل عام ، أما ابنه أحمدو بامبا فقد توفي عام ١٩٤٥ م وخلفه ابناه حماد ومصطفى ، وحصل خلاف بينهما ، وفي عام ١٩٤٦ م استطاع الشيخ مصطفى « نباكي » تأسيس الديوان النوري ، وأصبح للمريدين لباس موحد . وتبالغ الروايات في عدد المريدين ، فيقال إنه بلغ ٤٠٠,٠٠٠ مريد ، وأن الذين زاروا ضريح أحمدو بامبا قد بلغ مائة ألف ، وتضطر الحكومة إلى زيادة عدد القطارات أثناء موسم الزيارة .

ب — **الفاضلية :** نشأت في قبائل « زناقة » ، وتنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ محمد فاضل عام ١٧٨٠ م . وقد توزع أتباع

الشيخ محمد الفاضل في كل الصحراء الكبرى ، واختاروا أماكن اقامة لهم في نقاط التقاء الطرق التي تمر منها القوافل، وأماكن تجمع البداة ، ومناطق التبادل بين الرعاة والزراع ، وأصبحوا يؤلفون أربع زمر :

١ — زمرة الشيخ سعد ولهم نفوذ في منطقة الطرارزة والسنغال وغامبيا وغينيا ، ولهم زاوية فرعية في اقليم كازامانس من السنغال ، ومعظمها من شعب الديولا .

٢ — زمرة الشيخ ماء العينين الذي قاوم الفرنسيين في المغرب وموريتانيا .

٣ — زمرة الشيخ الحضرمي ، ولهم اتباع لدى السود الساراكولية والبمبارا .

٤ — زمرة الشيخ محمد الفاضل ولد عبيدي .

٢ً — **التيجانية :** نشأت في الجزائر على يد سيدي أحمد ابن محمد التيجاني (١٧٣٧ — ١٨١٥) ، ولا يحق للتيجانيين أن ينتسبوا إلى طريقة أخرى . وللتيجانية فرعان في الجزائر ، وفرع في فاس ، وأكثر فروعها في افريقية السوداء يرتبطون بفرع فاس ، ووصلت إلى بلاد الساراكولية قرب نيورو ، وينتمي لهذه الطريقة الحاج عمر الذي نشأ في بودور من شعب التوكلور ، وأسس دولة واسعة في افريقية الوسطى ، ولقي

حتفه في احدى غزواته عام ١٨٦٥ ، ولم ينجح ابنه أحمدو شيخو في ضم ولايات أبيه لحكمه ، وأخيراً قضت الخلافات على هذه الدولة ، في وقت كان الفرنسيون يدخلون المنطقة جزءاً بعد آخر .

ومن فروع هذه الطريقة **الحماوية** وتنتسب إلى حما الله ابن محمد ونشأت في شعب الساراكولية حيث عم تأثيرها على كل بلاد هذا الشعب وخاصة منطقة جورجول[1] التي عمت فيها الحوادث عام ١٩٣٠م فنفي إلى شاطىء العاج، واعتقل خمس وعشرون من أتباعه ، ثم اطلق سراحه عام ١٩٣٦ ، وعاد إلى نيورو حيث عاود نشاطه ضد فرنسا ، واعدم مع اثنان من اتباعه عام ١٩٤١ م .

ويظهر من هذا أثر الطرق في مقارعة الاستعمار ، فلم تكن اعتكاف في الزوايا وانصراف عن الجهاد .

---

(١) اقليم في موريتانيا ، يمتد على الضفة اليمنى لنهر السنغال وشمال مدينة ماتام ، ومركزه مدينة كيهيدي .

الحياة الاقتصادية

الزراعة : يمكن اعتبار السنغال بلداً زراعياً بالدرجة الأولى وكل الجهود تصرف للاهتمام بالزراعة ، فإضافة إلى حوض نهر السنغال والمناطق الساحلية كأراض زراعية تقوم سلسلة مستمرة من الواحات خلف الكثبان الرملية بين مصب نهر السنغال وشبه جزيرة الرأس الأخضر . وأهم المنتجات الزراعية هي :

فستق العبيد : وهو المحصول الرئيسي ، ويكثر في اقليم داكار ، وفي السنغال الأوسط بين ماتام وبودور ، كما يكثر بين سان لويس وثييز ، وفي جوار كاولاك ، وكازامانس ، وبلاد كايور ، وباوُل ، وبلاد سلوم . وقد استنفدت هذه الأرض قوتها ، ولكن فتحت أمام هذه الزراعة أراض جديدة بعد انشاء السكك الحديدية ، حيث يزرع بالقرب منها لتوفير أجور النقل ، لذلك كان انتشار هذه الزراعة يرافق تمديد الخطوط الحديدية . ويبلغ الانتاج ٦٠٠ ألف طن سنوياً . ويزرع بالتناوب مع الذرة .

الصمغ العربي : وتحتل السنغال المرتبة الثانية بانتاج هذه المادة بعد السودان ، ويؤخذ من أشجار الاكاسيا النامية بكثرة على ضفاف نهر السنغال ، وفي مقاطعة فورلو .

الرز : وتقتصر زراعته على اقليم كازامانس ، وتنتج البلاد ٦٠ ألف طن منه، ويعتبر غذاء السكان الرئيسي مع الذرة.

الذرة والدخن: وتزرع في وادي السنغال الخصيب بسبب الفيضان ، وهي غذاء العبيد الرئيسي .

كما يزرع القطن والبطاطا الحلوة والقمح ، ويشتهر الفولانيون بهذه الزراعات .

تربية الماشية : تعتبر مناطق السنغال كلها صالحة لتربية الماشية ما عدا الجنوب واقليم كازامانس . فتربى الأبقار في المناطق الشمالية الشرقية ويبلغ عدد قطيعها مليون رأس ، أما الأغنام والماعز فتربى في الجنوب الغربي ، ويزيد عددها على ٧٥٠,٠٠٠ رأس ثم هناك البغال والحمير .

ولا تكفي هذه المواشي أهل السنغال لذلك يستوردون ما يحتاجون إليه من موريتانيا .

الغابة : تغطي الغابة مساحة قدرها ٢,٤٩٠,٠٠٠ هيكتاراً معظمها في القسم الجنوبي ، ومعظم الأخشاب تستهلك محلياً ولا تصدر السنغال شيئاً من أخشابها .

صيد السمك : تعتبر شواطىء بلاد السنغال غنية بالأسماك وخاصة أن تيار كناريا البارد يلتقي بالتيار الاستوائي الشمالي بالقرب من شواطىء السنغال مما يجعل هذه المنطقة غنية بالأسماك

ويبلغ عدد الذين يزاولون مهنة الصيد ١٠ آلاف صياد ، يصطادون ٥٠ ألف طن من الأسماك ، ولا شك أن جزءاً من هذه الكمية يأتي من الصيد النهري وخاصة من نهر السنغال .

الثروة المعدنية : تستثمر فوسفات الألمنيوم وفوسفات الكالسيوم بالقرب من ثييز ويبلغ الانتاج ٢٠ ألف طن هذا بالإضافة إلى معادن أخرى قليلة الأهمية في الصناعة .

الصناعة : تطورت الصناعة القائمة في البلاد تطوراً كبيراً في منطقة داكار – روفيسك بعد الحرب العالمية الثانية ، وتنتج مصافي زيت الفستق كميات كبيرة في داكار ، وأقل منها في كاولاك ولوغا وروفيسك ، ولا تنتج هذه المصافي إلا الزيت الخام الذي يصدر إلى فرنسا وشمالي إفريقية ليكرر هناك .

ومن الصناعات الأخرى : الاسمنت وتنتج ١٥٨ ألف طن ، ومصانع للنسيج وتعليب الأسماك والأحذية ثم هناك المطاحن.

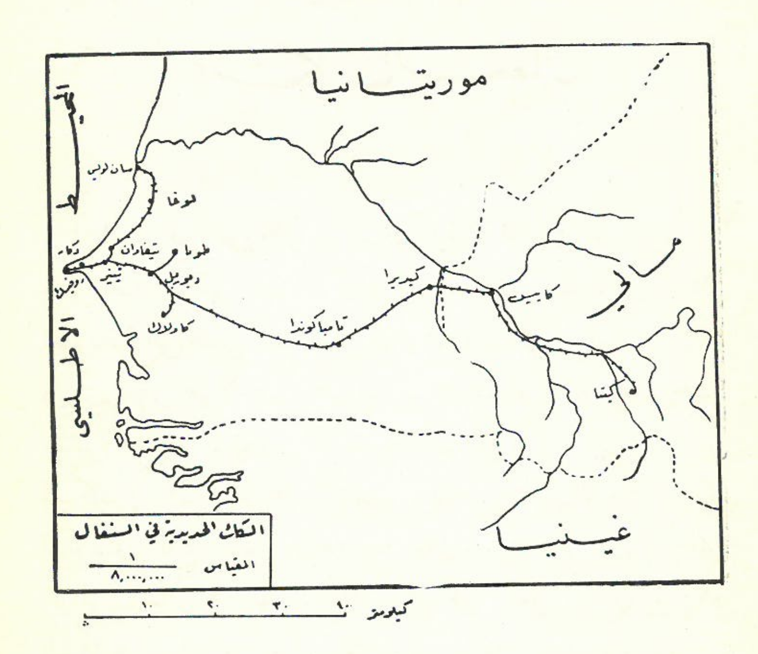
التجارة : تصدر السنغال فستق العبيد ، وزيت الفستق والصمغ العربي ، والفوسفات بينما تستورد الآلات والأدوية والأسلحة ومختلف المصنوعات ، ويعتبر ميزانها التجاري خاسراً حيث لا تزال من الدول المتخلفة .

المواصلات : تعتبر أنهار السنغال صالحة للملاحة بوجه عام . ويصلح نهر السنغال من مصبه حتى مدينة كاييس في بلاد مالي وكذلك الأنهار الساحلية ، حيث تجري في مناطق سهلية فليس من شلالات أو جنادل تعترض سبيلها .

وأما المواصلات الجوية فإضافة إلى أن السنغال عقدة

المواصلات بين افريقية واميركا فهناك خطوط الطيران الداخلية حيث ترتبط داكار مع اثني عشر مركز داخلي .

وأما المواصلات البرية فتختلف بين فترة الأمطار والفيضان وبين فترة الجفاف . وتربط السكك الحديدية دكار مع سان لويس ، ومع طوبا ، ومع كاولاك ثم مع بلاد مالي حيث تقطع السكة الحديدية السنغال من الغرب إلى أقصى الشرق .



مشكلات السنغال

١ – مع موريتانيا : يسكن الجزء الجنوبي من موريتانيا وعلى ضفاف نهر السنغال عدد من السكان ينتمون إلى القبائل السودانية التي تقطن السنغال مثل الولوف والتكلور والساراكولية ، ويرى بعض هؤلاء – وهم قلة – الانضمام إلى السنغال حيث تنتشر قبائلهم ، وإن كانت نسبتهم لا تزيد عن ١٢٪ من السكان إلا أن هناك حزباً يمثلهم ، وهو حزب الاتحاد الوطني الموريتاني الذي يرى الاتحاد مع مالي، ويمثله رئيس المجلس الوطني السابق في موريتانيا ، وهو من أصل سنغالي ، وهو السيد مختار انجاي ،ولهم إذاعة في داكار تنطق باسمهم .

ترى السنغال أن حدودها مع موريتانيا يجب أن تكون بشرية حيث تضم إليها القبائل السودانية ، وبذا يصبح نهر

السنغال سنغالياً خالصاً إلا في أقسام قصيرة يصبح فيها حداً بين الدولتين .

أما موريتانيا فترى أن الحدود يجب أن تكون طبيعية ونهر السنغال يجب أن يكون الحد الفاصل بين الدولتين الجارتين ، وخط الحدود يجب أن يكون في منتصف النهر ، ويحق للدولتين الملاحة والصيد فيه ، وأن ما فيها من سودانيين يعيشون حياة يرضونها وليس فيهم من يريد الانضمام إلى السنغال .

وأثناء تخطيط الحدود لم ترسم مسايرة للنهر تماماً بل تجاوزته نحو الشمال بين داجانا وماتام ، لذلك تطالب موريتانيا بتغيير الحدود .

٢ – غامبيا : ما ينظر السنغالي إلى مصور بلاده إلا وتقع منه التفاتة على ذلك الوتد الذي ركز في داخل البلاد ، فاستقلت البلاد ، واستقر الانكليز في هذا الوتد الذي أطلق عليه اسم غامبيا باسم النهر الذي يمر منه ، كما ويذهب بتفكيره إلى مطلع العصور الحديثة حيث جاء الاستعمار ووقع الخلاف بين فرنسا وانكلترا على أرضه ، ثم يتذكر معاهدة التسوية بين الدولتين الاستعماريتين ، هذه المعاهدة التي جزأت الأرض وقسمت الشعب ، وأصبحت القبيلة الواحدة تعيش في جزأين، يفصل بينهما حدود ، وأفرادها في منطقتين تحمي الواحدة

من الأخرى جنود وأسلاك شائكة .

تبلغ مساحة غامبيا ١٠ آلاف كيلو متر مربع أي قدر مساحة لبنان ، وتحيط بها أراض السنغال من كل الجهات خلا فتحة بسيطة من ناحية المحيط ، ويرويها نهر غامبيا الذي ينبع من سفوح جبال فوتا دجالون ويبلغ طوله ١١٠٠ كم ويسير في خط كثير التعرج والانعطاف ، ويصب في البحر عند جزيرة القديسة ماري . وتستطيع البواخر التي حمولتها ٢٠٠٠ طن من الصعود في النهر إلى مسافة ٢٥٠ كم .

تعرف الأوربيون على نهر غامبيا عندما وصله البرتغاليون عام ٨٥٩ هـ — ١٤٥٥ م ، ولسهولة الملاحة فيه ظن الأوربيون أنه أفضل طريق للولوج إلى داخل افريقية ، وهذا ما جعله طريق المواصلات في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. وكانت غامبيا مجال التنافس بين فرنسا وانكلترا . وفي أواخر القرن السادس عشر نشر الانكليز تجارة الرقيق في غامبيا . وفي أواخر القرن السابع عشر بنى الانكليز حصن سان جيمس على ضفة النهر بينما احتل الفرنسيون الضفة الثانية من النهر .

وفي عام ١٢٣٣ هـ — ١٨١٧ م أعطيت السنغال لفرنسا ، فترك الانكليز حصن سان جيمس ،وبنوا مدينة باثورست على جزيرة القديسة ماري في مدخل النهر ، وكانت غامبيا

تابعة حتى ذلك الوقت لشركة « التجار الافريقيين » البريطانية ، فضمتها انكلترا آنذاك إلى ممتلكات التاج ، ثم عقدت معاهدة تسوية بين فرنسا وانكلترا عام ١٣٢٢ هـ — ١٩٠٤ م نصت على أن تمتلك انكلترا قطعة من الأرض عرضها ستة أميال على كل ضفة من النهر ولمسافة ٢٥٠ ميل في الداخل مقابل أن تتنازل لفرنسا عن جزيرة غوريه الواقعة مقابل داكار . ووقع الزعماء المحليون معاهدات مع انكلترا تشكلت بموجبها محمية غامبيا . وفي عام ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م نالت هذه المحمية الاستقلال الداخلي .

يبلغ عدد سكان غامبيا ٤٠٠ ألف معظمهم من المسلمين الذين تبلغ نسبتهم ٨٤ ٪ ، وينتمي السكان إلى قبائل الفولاني والماندينج ، وقد جزأت معاهدة التسوية القبيلة الواحدة إلى قسمين يعيش بعضها في غامبيا والآخرى في السنغال .

يشتغل ٩٠٪ من السكان بالزراعة ، وأشهر هذه الزراعات فستق العبيد الذي يشتغل بزراعته ثلث السكان إضافة إلى المهاجرين الذين يفدون كل عام من خارج البلاد للعمل بهذه الزراعة ثم يعودون بعد انتهاء الموسم و الذين يبلغ عددهم ٣٠ ألف سنوياً .ويبلغ الانتاج ٦٠ ألف طن . ثم هناك زراعة الذرة والدخن والرز والقطن للاستهلاك المحلي .

وعاصمة البلاد هي مدينة « باثورست » التي تقع على المحيط

على جزيرة القديسة ماري عند مصب نهر غامبيا .

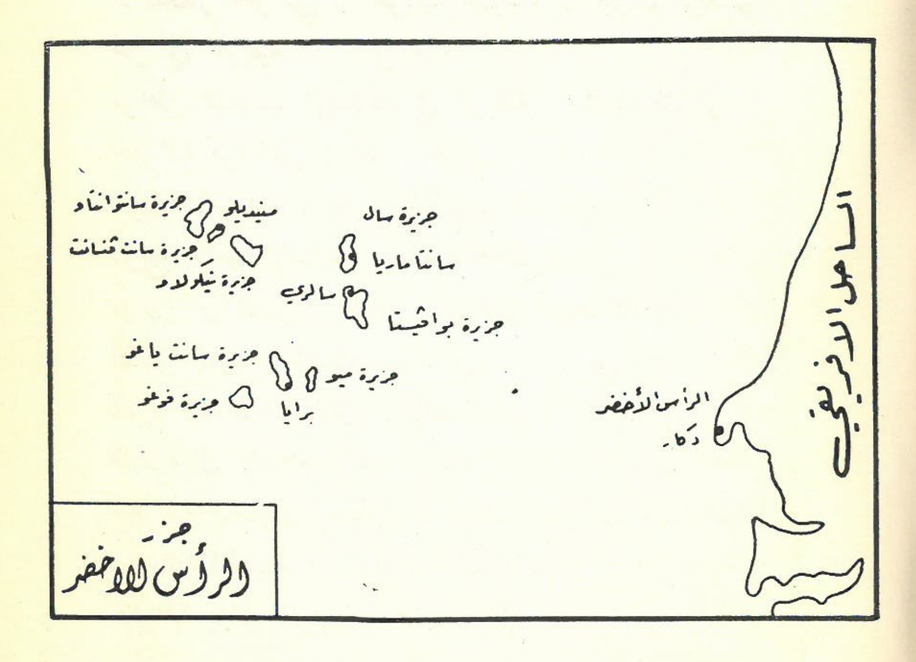
ولم تسمح الظروف الخاصة بالسنغال بعد للمطالبة بمنطقة غامبيا وإن كانت في ذهن كل سنغالي .

٣ – جزر الرأس الأخضر : ينظر السنغاليون إلى تلك المحطات البحرية الهامة ، والتي تحمل اسم قطعة من بلادهم ، على أنها لهم ، ولكن الاستعمار البرتغالي قد فصلها عن بلادهم وركز جهوده فيها لبقائها تحت نفوذه، ولم تسمح لهم الظروف بعد للمطالبة بها ومقاومة الاستعمار البرتغالي الذي لا يزال يتخذ الأساليب الاستعمارية القديمة . فعلى بعد ٦٠٠ كم من ساحل بلاد السنغال تنتصب جزر الرأس الأخضر على شكل ثلاث مجموعات تضم الشرقية منها جزر : سال ، سانتا ماريا، بوافيستا . وتضم الغربية منها جزر : «سانتا انتاو»، سانت فنسانت وجزيرة نيكولاو ، وتضم المجموعة الجنوبية جزر : سانت ياغو ، فوغو وجزيرة ميو . إضافة إلى جزر أخرى صغيرة يقع أكثرها بالقرب من المجموعة الغربية. تبلغ مساحة هذه الجزر ٤ آلاف كيلو متر مربع ويزيد عدد سكانها عن ٢٠٠ ألف نسمة ، ويرتفع بركان فوغو إلى ٢٨٠٠ م ، وتقع هذه الجزر في منطقة الرياح التجارية الشمالية الشرقية التي تقوي تيار كناريا لذلك لا تتلقى هذه الجزر إلا أمطاراً قليلة ، والجزر الشرقية ذات مناخ صحراوي ، أما

الجزر الغربية فهي ذات تضاريس أعلى من الشرقية لذلك تتلقى أمطاراً أكثر ، وتقوم هذه الجزر بدور المحطات البحرية للسفن الذاهبة إلى أميركا .

ومدينة «برايا» الواقعة فيجزيرة«سانتياغو» هي العاصمة الادارية لهذه الجزر ،وأهم مدينة هي «مينديلو» وتقع في جزيرة «سانت فنسانت» .

وأكثر سكان هذه الجزر مختلطوا الدماء من البيض والسود .



المراجع

انتشار الإسلام في القارة الإفريقية: الدكتور حسن ابراهيم حسن.

التبشير والاستعمار : الدكتور مصطفى الخالدي – الدكتور عمر فروخ.

المغرب: حسن محمد جوهر– صلاح العرب عبد الجواد .

الاستعمار الفرنسي في افريقية السوداء : فيليب فونداسي .

نحن في افريقية : كامل مروة .

مواطن الشعوب الإسلامية في افريقية : محمود شاكر .

جغرافية مراكش : عمر الحكيم .

افريقية السوداء : عمر الحكيم .

تاريخ الأمم الإسلامية : محمد الخضري .

موسى بن نصير : الدكتور ابراهيم أحمد العدوي .

أطلس التاريخ الإسلامي : هاري . و . هازارد .

تقويم البلدان الإسلامية : اصدار المؤتمر الإسلامي .

الدعوة إلى الإسلام : سير توماس . و . ارنولد .

جغرافية البحار والمحيطات : الدكتور شريف محمد شريف.

موريتانا الحديثة : محمد يوسف مقلد .

جغرافية بلاد المغرب : عمر الحكيم .

الفهرس